www.riwaya.ga

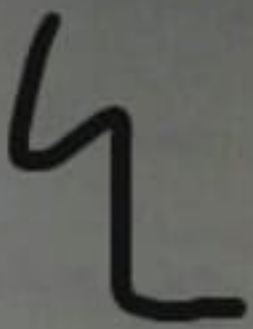

إهداء إلى روح ..

د. أحمد خالد توفيق

www.riwaya.ga

www.riwaya.ga

مقدمة

رواية أخرى من عالم (جراب الحاوى) .. ذلك المحل الذى يحوى الأشياء العجيبة والفريدة والسحرية المذهلة !

أخشى أن يتحول اسم السلسلة من (الصرخة) إلى (جراب الحاوى) بعد قليل من الوقت .. أو تنفصل سلسلة أخرى من هذه السلسلة وتحمل اسم (جراب الحاوى) .. نتناول فى كل عدد منها قصة شىء سحرى أو ملعون تم بيعه فى المحل أو التخلص منه هناك ..

بالنسبة لأسماء الروايات .. تنتابنى دائمًا حيرة شديدة فى اختيار الاسم .. أحيانًا أختار اسمًا جذابًا وأحيانًا أختار اسمًا تقليديًا لظنى أنه جذاب .

فكرت أن أجعل جميع الأعداد القادمة تبدأ بكلمة (لعنة) على غرار (لعنة الخواتم) .. فيكون العدد الذى بين أيديكم هو (لعنة الزمن) أو (لعنة الساعة) .. ثم يأتى عدد (لعنة القناع) و(لعنة الفراعنة) و(لعنة من نوع آخر) و(لعنة النسيان) و (لعنة كفر النساء) .. إلخ ... وربما يصبح شعار السلسلة (فى كل عدد لعنة دائمة) .

وهكذا تحتفظ روايات (الصرخة) بكلمة (لعنة) فى كل عدد .. كما احتفظت سلسلة (حالات خاصة) بكلمة (حالة) فى كل عدد .

لكنى تراجعت عن الفكرة .. لأنها سوف تقيّدنى فى اختيار أسماء الروايات وتحصرنى فى أسماء بعينها وترغمنى على استخدامها .. فهناك عناوين كثيرة لا يصلح معها كلمة (لعنة) .. لا يمكن أن نقول (لعنة لا تغلق الباب)

مثلاً .. أو (لعنة كيف تحركت المومياء ؟) .. بالإضافة لكون السلسلة تتناول أشياء كثيرة غير اللعنات .. أليس كذلك ؟

وبما أن العدد يحمل عنوان (زمن الماضى المستمر) فأحب أن أهدى هذا العدد لجميع مدرسى اللغة الإنجليزية الذين كانوا فى حياتى حتى أصبحت واحدًا منهم !.. الأستاذ محمود الأشرم .. الأستاذة نجلاء العنانى .. الأستاذ سلامة أبو الفتوح .. الأستاذ نزيه .. الأستاذ رفعت سلامة .. الدكتور أشرف السيد .. الدكتور برسوم .. الدكتورة هالة عويدات .. الدكتورة عبير الجمل .

محمد رضا عبد الله

www.riwaya.ga

www.riwaya.ga

(1)

جراب الحاوى !

كان هذا اسم المحل الذى اشتريت منه تلك الساعة الملعونة .. ليتنى ما فعلت !

* * *

كنت خارجًا من العمل .. عائدًا إلى منزلى فى الساعة الـ ... لا أعلم تحديدًا.

هاتفى المحمول راح فى سبات عميق عندما انتهى شحنه .. وهو الذى كنت أعتمد عليه تمامًا فى معرفة الوقت .. وقد تسبب فى مشاكل كثيرة لى اليوم .

يبدو أن الوقت قد حان لشراء ساعة يد .

لمحت عنوان المحل .. (جراب الحاوى) .. جذبنى الاسم .. كانت هناك لافتة بجوار باب المحل مكتوبًا عليها (لدينا كل ما تحتاجه) .. جميل ! هذا يعنى أن هناك احتمالًا كبيرًا أنهم يبيعون ساعات .

قبل دخولى المحل وجدت لافتة أخرى كُتب عليها : (نشترى كل شىء ونبيع كل شىء) .. وهذا ما تأكدت منه بعد ذلك .. إن صاحب المحل يشترى أى شىء من الزبائن حتى لو كان هذا الشىء مكسورًا أو مسروقًا أو .. ملعونًا !

ضع تحت الكلمة الأخيرة (ملعونًا) مائة خط !

www.riwaya.ga

كان المحل متواضعًا بالداخل .. من حيث الديكور والإضاءة .. لكنه كان زاخرًا بالأشياء المتاحة للشراء .

بحثت بعينى فى المكان حولى .. لم أجد أحدًا بالداخل .. فقلت بصوت عالٍ لعل أحدًا يسمعنى ويخرج من مخبئه :

ـ السلام عليكم .

سمعت صوتًا من داخل غرفة ملحقة بالمحل ـ لم أنتبه لبابها فى البداية ـ يقول :

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. انتظرنى ثوانى ..

ثم خرج من باب جانبى رجل أسمر .. فى الأربعين من عمره .. يبدو أنه صاحب المحل .. كان يرتدى قميصًا أسود وبنطلونًا أبيض .. لا أعرف من أين أقتنع بهذه الملابس ! .. يحمل كوب شاى بيده اليمنى وفى يده اليسرى قناع أسود مخيف(*) .. شوارب طويلة .. أنف ضخم .. عيون حمراء .. قرون .. لا أعرف لماذا يشترى الناس مثل هذه الأقنعة ! .. وضع القناع على أحد الأرفف وهو يقول :

ـ أهلًا وسهلًا بك يا باشا .. يبدو أن هذه هى زيارتك الأولى للمحل .. نورتنا .. بم يمكننى أن أخدمك ؟

أجبته قائلًا :

ـ كنت أريد ساعة .

ـ ساعة حائط ؟

(*) راجع العدد الثانى (لص الوجوه) .

www.riwaya.ga

ـ لا .. ساعة يد .

ـ عندى .

قالها ومنحنى ابتسامة عريضة اعتاد إلقاءها للزبائن .. ثم قدم لى كوب الشاى الذى يحمله قائلًا :

ـ تفضل أولًا .. شاى بالنعناع .. سيعجبك .. ويعدل مزاجك .

ـ لا .. شكرًا .

لم يلح فى عرض الضيافة واكتفى بالرفض من المرة الأولى .. وشرب رشفة من الشاى الساخن الذى تتصاعد منه الأبخرة .. يبدو أنه كان يعدّه بالداخل منذ لحظات .

فتح الرجل أحد الأدراج أمامه وراح يعبث فى الأشياء الموجودة به مصدرًا صوتًا مزعجًا وفى النهاية أخرج منه ساعة يد ثم أغلقه على الفور .. وأعطانى إياها قائلًا :

ـ ساعة رائعة .. لن تجد مثيلها أبدًا .. أنا لا أعرضها عادةً لأى زبون لكنى استرحت لك ..

إذن هو واحد من البائعين الذين يكررون نفس الكلام لكل زبون ليقنعوه أنهم يقولونه لأول مرة !

ثم تابع قائلًا وهو يأخذ رشفة أخرى من الشاى :

ـ يقول صاحبها الذى باعها لى إنها ساعة سحرية .. جاء هنا مع ابنه الصغير .. طفل فى الابتدائية .

www.riwaya.ga

رددت الكلمة بشيء من الحيرة والدهشة :

ـ سحرية !!

ـ نعم .. يقول إنها لا يمكن أن تقدم الوقت أو تؤخره أبدًا .. تضبط نفسها بنفسها .

ابتسمت ساخرًا مما قاله .. ما هذا الهراء ! .. ما هذه الدعاية المبالغ فيها ! لا توجد ساعة بهذه المواصفات فى العالم كله ! .. لا يمكن للساعة أن تضبط نفسها بنفسها أبدًا .. أما الساعة التى لا يمكن أن تقدم الوقت بها أو تؤخره فإنها ساعة معطلة أو معيوبة .. لأن الساعة لا بد أن تضبطها يومًا ما إذا تعطلت. فإن كنت لا تستطيع ذلك فلا فائدة منها أبدًا .. ما الذى ستفعله إذا تعطلت مثلًا ؟!

شرب رشفة أخرى من الشاى ونظر لى قائلًا :

ـ أنت لا تصدقنى ! .. أرى هذا فى عينيك .. لكنى أخبرتك بما قاله صاحبها. وكما يقولون (الزبون دائمًا على حق) .

ثم ضحك .. فقلت له ببرود :

ـ ربما لم يكن على حق فى هذه المرة .

ـ على أى حال إنها تعمل بكفاءة منذ اليوم الذى اشتريتها فيه .. وأنا أعتبرها أكثر ساعة مضبوطة عندى فى المحل .. وأقوم بضبط الساعات الأخرى بناء عليها .. ولهذا ثمنها غال نوعًا .

سألته عن ثمنها .. فأجابنى برقم كبير .. كان محقًا فى أن ثمنها غال فعلًا !.. فسألته بحيرة شديدة :

ـ لماذا هذا السعر العالى ؟!

شرب رشفة أخرى من كوب الشاى وقال :

ـ لقد أخبرتك .. إنها مضبوطة تمامًا .. ويمكنك أن تتأكد بنفسك .

ثم أمسك الريموت كنترول بجواره على منضدة وأشعل التليفزيون .. قناة (هنا القاهرة) .. كانت الساعة تظهر فى ركن الشاشة .. قرأت الأرقام المكتوبة وقارنتها بساعة اليد .. إنها مضبوطة تمامًا ! عقرب الثوانى وصل إلى رقم 12 فى نفس اللحظة التى تغير فيها عدد الدقائق على الشاشة .

قلت بعدم اقتناع :

ـ ولو ! .. هذا لا يجعلنى أبدًا أشترى ساعة بهذا الثمن الغالى .. ولست مقتنعًا بمسألة أنها تضبط نفسها بنفسها .. أعطنى كلامًا معقولًا مقنعًا .

ـ حسنًا .. إن كنت لا تريدها .. لدى هنا ساعات أرخص فى الثمن .. وتؤدى نفس المهمة .. تخبرك بالوقت .

سألته السؤال الذى ظل يلح على رأسى :

ـ هل حاولت مثلًا أن تُقدّمها أو تؤخّرها لتتأكد من موضوع أنها تضبط نفسها بنفسها ؟!

أجاب محتجًا :

ـ ولماذا أفعل هذا ؟! .. طالما أنها مضبوطة .

ـ فقط ـ لتتأكد مما قاله صاحبها .

ـ لا .. لقد تعلمت من خبرتى فى الحياة (ألا أخرّب شيئًا سليمًا لأتأكد من صلابته) .

ـ منطق سليم !

لكنى كنت أريد أن أجرّب مسألة تقديم الوقت بها أو تأخيره ـ لذا انتهزت فرصة أنه يشرب آخر رشفة من كوب الشاى .. وقمت بتأخير التوقيت دقيقتين ـ

توقعت أن عقرب الدقائق لن يتحرك ليحافظ على التوقيت السليم ـ لكن الزر دار بين أصابعى ـ والعقرب تحرك وأخرت التوقيت بها دقيقتين ! فهل ستقوم بضبط نفسها تلقائيًا الآن ؟ .. رحت أنظر للساعة باهتمام وترقب ـ لم يحدث شىء بها ! .. كما توقعت .

لكن حدث ما هو أغرب ..

أغرب بكثير مما يمكن تخيله !

أمر لا يمكن تصديقه على الإطلاق !

★ ★ ★

(2)

قال البائع :

ـ ساعة رائعة .. لن تجد مثيلها أبدًا .. أنا لا أعرضها عادةً لأى زبون لكنى استرحت لك ..

يبدو أن ذلك البائع يميل لتكرار نفس الكلام لكل زبون ! .. شرب رشفة أخرى من الشاى الذى ظننت أنه قد انتهى ! .. والغريب أن الأبخرة ما زالت تتصاعد منه كأنه رُفع لتوه من فوق الموقد .. بعد أن ظننت أنه قد برد !

ثم تابع قائلًا :

ـ يقول صاحبها الذى باعها لى إنها ساعة سحرية .. جاء هنا مع ابنه الصغير ـ طفل فى الابتدائية .. يقول إنها لا يمكن أن تقدم الوقت أو تؤخره أبدًا .. تضبط نفسها بنفسها .

لا أريد أن أصدمه .. لقد قمت بتأخير الوقت بها .. ولم تضبط نفسها بنفسها تلقائيًا كما قال .. أم إنه سيدّعى إنها تأخذ بعض الوقت لضبط نفسها .. ربما يومًا أو يومين حتى تعود للتوقيت الصحيح .. أم سيعترف فى النهاية أنها تحتاج إلى أحد ليقوم بضبطها يدويًا ؟!

شرب رشفة أخرى من الشاى .. يبدو أن هذا الشاى لن ينتهى أبدًا ! وكأن هناك يتبوعًا من البن البرازيلى بداخله ! .. كنت أنظر فى الساعة لعلى أجد

حركة مريبة للعقارب .. لكن لم يحدث أى شىء .. ظلت متأخرة فى الوقت كما هى .. سمعته يقول :

ـ أنت لا تصدقنى ! .. أرى هذا فى عينيك .. لكنى أخبرك بما قاله صاحبها وكما يقولون (الزبون دائمًا على حق) .

ثم ضحك .. فقلت له ببرود :

ـ يبدو أنه كان مخطئًا .. لأنى قمت بتأخير التوقيت .. وها هى ساعتك متأخرة دقيقتين عن التوقيت الصحيح .. تفضل .

أخذ الساعة منى وصاح محتجًا :

ـ لماذا قمت بهذا ؟!

ـ لأتأكد مما تقوله ـ فهل ساعتك السحرية ستقوم بضبط نفسها الآن ؟

نظر إلى الساعة وقال غاضبًا :

ـ كم دقيقة أخرتها بالضبط ؟

ـ دقيقتين .. والآن قم بضبطها بنفسك ولا تخدع أحدًا آخر بهذا الكلام .

لم يقل كلمة ـ فسألته :

ـ هل لديك ساعات أرخص ؟ أم ستبيعنى هذه الساعة بسعر معقول ؟

نظر البائع إلى الساعة الموجودة بهاتفه المحمول ثم قارنها بالساعة وقال :

ـ ولكنها مضبوطة ! .. لماذا تقول إنك أخرت التوقيت ؟!

ـ ماذا ؟!

ـ أراها مضبوطة .. كساعة هاتفى المحمول بالضبط .

ضحكت ساخرًا :

ـ إذن ساعة هاتفك المحمول أيضًا تحتاج إلى ضبط .

ـ لا .. إنها مضبوطة تمامًا .. ويمكنك أن تتأكد بنفسك .

ثم أمسك الريموت كنترول وفتح التليفزيون ..

ـ ما هذا ؟!

ـ ألم يكن التليفزيون مفتوحًا بالفعل ؟! .. متى أُغلق ؟!

كانت الساعة الرقمية تظهر فى ركن الشاشة كالعادة .. قرأت التوقيت بينما قال البائع :

ـ انظر .. ها هى مضبوطة .

أخذت الساعة منه وقارنتها بساعة التليفزيون .. كانت مضبوطة بالفعل ! .. لم أهتم بكم الساعة الآن .. كان اهتمامى كله فى دقة التشابه .

ما معنى هذا ؟! هل قامت بضبط نفسها فعلًا وعادت للتوقيت الصحيح أم إن ساعة التليفزيون تأخرت أيضًا فى نفس اللحظة ؟! وهذا احتمال مستحيل !

قال البائع وهو يشرب من كوب الشاى العجيب الذى لا ينتهى أبدًا .. وكأنه يزيد كلما نقص :

ـ إنها تعمل بكفاءة منذ اليوم الذى اشتريتها فيه ـ وأنا أعتبرها أكثر ساعة مضبوطة عندى فى المحل .. وأقوم بضبط الساعات الأخرى بناء عليها .. ولهذا ثمنها غال نوعًا .

لماذا يكرر الكلام ؟ .. لقد مللت من هذه (الأسطوانة المشروخة) .. لم يملّ أبدًا ؟!

سألنى :

ـ هل تريد أن تعرف السعر ؟ .. هل أنت مهتم ؟

ـ لقد أخبرتنى به .. وما زلت أراها غالية الثمن .

قال مندهشًا :

ـ لا ـ لم أخبرك به بعد .

يبدو أنه قد نسى .. لذا أخبرته بالسعر ، فاندهش أكثر وقال :

ـ كيف عرفت السعر ؟! .. أنا متأكد أنى لم أخبرك به من قبل ! .. ولم أعرضها على أحد من قبلك .

يبدو أن هذا البائع يعانى من داء النسيان .. تجاوزت الأمر حتى لا أضيع الوقت فى إقناعه بأنه قد نسى أنه قد أخبرنى بالسعر .. كان عقلى مشغولاً بمسألة الساعة السحرية .. أنا متأكد أنى قمت بتأخيرها دقيقتين .. فهل أعادت ضبط نفسها فعلًا ؟!

شرب البائع رشفة أخرى من كوب الشاى وقال :

ـ إن كنت لا تريدها .. لدى هنا ساعات أرخص فى الثمن .. وتؤدى نفس المهمة .. تخبرك بالوقت .

فى الواقع .. أصبحت أريدها الآن .. لو أنها فعلًا تقوم بضبط نفسها بنفسها فهذا يعنى أنى لن أقلق بشأن الوقت بعد الآن .. وأنها بالفعل ساعة سحرية

كما قال ! .. لكنى سأجربها مرة أخرى قبل الشراء لأتأكد .. وإن اقتنعت بسحرها سأشتريها .. لكن سأحاول تقليل سعرها طبعًا .. فالثمن باهظ حقًا .. حتى لو كانت سحرية ! هى فى النهاية ساعة .. فقط تخبرنى بالوقت ولن تضيف لى عُمرًا !

ربما أشترى كوب الشاى أيضًا .. لعله سحرى .. يملأ نفسه بنفسه .. أما التليفزيون فسوف أنصحه بإصلاحه لأنه ينطفئ فجأة .

نظرت للساعة وقمت بتأخير التوقيت دقيقتين .. ورحت أراقبها لكى أراها وهى تضبط نفسها .. لكن لم يحدث ذلك .

سمعت صوتًا يأتى من الغرفة الملحقة بالمحل يقول :

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. انتظرنى ثوانى ..

من هذا ؟! .. رفعت رأسى عن الساعة لأسأله .. لكنى لم أجده أمامى .. نظرت للتليفزيون .. متى انطفأ ؟! .. رأيت الرجل يخرج من نفس الباب الجانبى الذى خرج منه من قبل .. حاملًا نفس كوب الشاى .. وفى يده الأخرى نفس القناع الأسود المرعب الذى كان قد وضعه منذ قليل على الرف .. أم إنه قناع آخر يشبهه .. قال مبتسمًا :

ـ أهلًا وسهلًا بك يا باشا .. يبدو أن هذه هى زيارتك الأولى للمحل .. نوّرتنا .. بم يمكننى أن أخدمك ؟

لا أفهم شيئًا ! ما الذى يحدث ؟! .. وضع القناع على الرف ثم سألنى :

ـ ما الذى تريده يا باشا ؟!

أجبته باقتضاب :

ـ ساعة .

ـ ساعة حائط ؟

ـ لا .. ساعة يد .

نظر إلى الساعة السحرية التى معى وقال :

ـ وما بال الساعة التى فى يدك ؟! .. هل تعطلت ؟ .. هل تريد مثلها ؟

ثم مد يده نحوى وقال :

ـ أرنى إياها .

أعطيتها له بتلقائية ـ قدّم كوب الشاى لى وأبخرته تتصاعد نحوى .. وقال مبتسمًا :

ـ تفضل أولًا ـ شاى بالنعناع .. سيعجبك .. ويعدل مزاجك .

هززت رأسى نفيًا دون أن أنطق بكلمة وأنا أحاول استيعاب ما يحدث . تأمل البائع الساعة وقال :

ـ صدفة غريبة ! .. لدى ساعة تشبهها بالضبط !

ثم أعطانى الساعة مجددًا وراح يبحث عن نفس الساعة فى الدرج أمامه ! وعندما لم يجدها قال لنفسه بغضب :

ـ أين تلك الساعة اللعينة ؟! .. أنا متأكد أنى وضعتها هنا .

فكرت فيما يحدث .. ثم قلت له :

ـ أعطنى الريموت كنترول الخاص بهذا التليفزيون .

ـ لماذا ؟

ـ من فضلك .. أعطنى الريموت الآن .. أريد أن أتأكد من شيء ما .

فأعطانى إياه .. فتحت التليفزيون ونظرت إلى الشاشة وانتظرت ..

كانت الشاشة تعرض نفس الإعلانات التى رأيتها مرتين من قبل .. كنت أظن أنهم يعيدون نفس الإعلانات طوال الوقت .. لكن يبدو أن الأمر ليس كذلك .. الآن فهمت !

ثم نظرت إلى الساعة السحرية .. كيف لم أنتبه لذلك من قبل ؟!

يا إلهى ! .. لقد عاد بى الزمن بسبب هذه الساعة العجيبة !

★ ★ ★

(3)

سألت البائع :

ـ ما اسمك ؟

أجابنى بفخر :

ـ (مجاهد) .

ـ أهلاً وسهلاً .

ثم أشرت إلى الساعة السحرية وسألته :

ـ ما الذى تعرفه عن هذه الساعة ؟

ـ أى ساعة ؟!

ـ هذه الساعة .. التى أعطيتنى إياها .

أمسك الساعة ونظر لها وقال :

ـ إذن هذه هى ساعتى التى كنت أبحث عنها .. لقد ظننت أنها تشبهها . كن اتضح الآن أنها هى نفسها .. متى أخذتها ؟

ـ منذ قليل أعطيتنى إياها بنفسك .

صاح غاضبًا وقال :

ـ لا .. لم أعطها لك ـ أنت سرقتها يا لص ! .. اخرج من المحل فورًا ـ وإلا غت الشرطة .

ـ من فضلك اهدأ .. واسمعنى أرجوك .. أنا لم أسرق شيئًا .. لقد أعطيتنى ساعة بنفسك منذ دقيقتين ـ أقسم لك .

قال بكل عناد :

ـ لا .. لم يحدث .. لو كنت فعلت لتذكرت .

قلت محاولًا الدفاع عن نفسى :

ـ لقد حدث ولكنك لن تتذكر .. لأن هذه الساعة تعيد الزمن للوراء .. ويبدو أنك لم تكن تعلم هذا عنها .

ـ ما هذا التخريف !

ـ معك حق ! .. لو أنك أخبرتنى بهذا لقلت نفس الجملة .. أنا لم أصدق أنها تقوم بضبط نفسها فما بالك لو أخبرتنى أنها تعيد الزمن نفسه للوراء ؟ .. ويبدو أنها لا تضبط نفسها أصلًا .. بل الزمن هو الذى يضبط نفسه عليها !

ـ ما هذه الخزعبلات التى تقولها ؟!

ـ حسنًا .. أعطنى الساعة وسأريك بنفسك ما يحدث عندما نقوم بتأخير التوقيت أو تقديمه .. إن لديها قوة سحرية جبارة تتحكم فى الزمن .. كأنها آلة زمن ولكن على شكل ساعة يد .

نظر الرجل إلى الساعة وقال :

ـ لا أصدق هذا الكلام الفارغ ! .. أنت تقول هذا لتسرق الساعة وتهرب .. اخرج فورًا .

فكرت أن أطلب منه أن يؤخر التوقيت بنفسه ويرى ما سيحدث .. لكنى لا أضمن ما سيحدث لى ! .. ربما أجد نفسى خارج المحل لا أعلم شيئًا عن الساعة .. أو أجد نفسى فى العمل الآن أفكر فى الخروج لشراء ساعة .. لا أعلم ما سيحدث لى لأن الزمن سيتغير فقط لحامل الساعة !

قلت له :

ـ حسنًا .. سوف أشتريها منك .

ـ لكن ثمنها غالٍ .

ـ أعرف .

وأخبرته بالثمن .. سألنى :

ـ كيف عرفت ؟!

مللت من الأمر .. أعطيته ثمنها .. لاحظ لهفتى عليها فرفع السعر أكثر .. فأعطيته المبلغ الزائد الذى طلبه .. ثم قلت له بلهجة حادة :

ـ أعطنى الساعة الآن .

كان فرحًا للغاية بالمبلغ الكبير الذى حصل عليه .. صفقة رائعة .. لذا أعطانى الساعة بكل رضا وسعادة .. قلت له :

ـ هل يمكن أن أشرب بعض الشاى ؟

ابتسم وقدّم الكوب لى قائلًا :

ـ تفضل .

الشاى لم يكن يزيد طبعًا ! .. كان ظنى خاطئًا .. لقد اتضحت الأمور الآن .. التفسير هو أننى كنت أعود بالزمن حتى ذلك الحين الذى كان به الكوب ممتلئًا بالشاى ! .. صار هذا واضحًا ومفهومًا !

لم أكن أريد شرب الشاى لكنى أخذت الكوب منه راسمًا ابتسامة عريضة .. بادلنى الابتسام وهو لا يعلم ما الذى أنوى فعله بالكوب !

قذفت ما تبقى من الشاى على وجهه ثم قذفت الكوب نفسه نحو التليفزيون بمنتهى القوة .. فحطم شاشته بصوت عالٍ .. صاح (مجاهد) قائلًا :

ـ ما هذا الذى فعلته يا مجرم ؟! .. ستدفع ثمن فعلتك هذه .

ابتسمت قائلًا :

ـ اطمئن يا عزيزى .. سيعود التليفزيون كما كان .. وستنسى ما حدث كأن لم يكن .. عندما أعود بالزمن .

ـ هل جننت ؟! .. هل أنت مخبول ؟!

صوت الارتطام دفع رجلًا من المارة للدخول .. كان يسير خارج المحل عندما سمع صوت التحطم العالى والصياح .. انتابه الفضول ليعرف ما يجرى بالداخل .. فرأى (مجاهد) أمامه يصيح به وهو يشير نحوى :

ـ أمسك هذا المجنون .. لقد سرق الساعة وحطم هذا التليفزيون .. وألقى علىّ الشاى .

الوغد يتهمنى بالسرقة ! .. أنا حطمت التليفزيون وأعترف بذلك .. وألقيت عليه بقايا الشاى لكنه كان باردًا لذا لم يتألم .. لكنى لم أسرق الساعة !

سألنى الرجل بكل أدب :

ـ هل هذا صحيح ؟

صاح (مجاهد) :

ـ هل تسأله ؟! .. ألا ترى التليفزيون أمامك محطمًا ؟ .. ألا ترى بقع الشاى على ملابسى ؟ .. أمسكه وسوف أبلغ الشرطة .

كان الرجل ضخمًا للغاية .. لن أستطيع الإفلات من قبضته .. قمت بأخر التوقيت قبل الانقضاض وقبل بدء معركة يدوية نتائجها محسومة ومعروفة وانتقلت بالزمن !

الزمن : قبل بضع دقائق .

فجأة اختفى الرجل الضخم .. نظرت للتليفزيون .. كان سليمًا معافى كما توقعت وتمنيت .. رأيت (مجاهد) يضع القناع الأسود على الرف وهو يقول :

ـ أهلًا وسهلًا بك يا باشا .. يبدو أن هذه هى زيارتك الأولى للمحل .. تؤرتنا بم يمكننى أن أخدمك ؟

تحسست جيبى .. كان المال به .. المال الذى دفعته منذ دقائق من أجل الساعة السحرية .. يبدو أنى قد حصلت عليها مجانًا الآن .. أخرجت المال من جيبى وفحصته وتأكدت أنه لم ينقص جنيهًا .. ثم أجبت سؤاله :

ـ لا شىء .. شكرًا .

لاحظ الرجل المال الكثير الذى معى فقال محاولًا بيع أى شىء :

ـ لقد جئت المحل من أجل شراء شىء بالتأكيد .. فما هو ؟

خشيت أن يتهمنى بالسرقة مجددًا .. فأخفيت الساعة فى جيبى وقلت :

ـ هل عندك بطيخ يا أستاذ (مجاهد) ؟

ـ تعرف اسمى ! .. هل تشرفت بزيارة محلى من قبل ؟

لم أهتم بأن أخبره أنى تعرفت اسمه منذ دقائق وأنه هو الذى أخبرنى به!

هذه الأمور شرحها يطول وأنا اليوم مشغول .. أليس كذلك ؟! .. كررت سؤالى لأنتهى من هذا الحوار وأخرج من المحل سريعًا :

ـ هل عندك بطيخ يا أستاذ (مجاهد) ؟

ـ بطيخ ! .. لا .. هذا ليس محل فاكهة .

قلت متظاهرًا بالحزن وخيبة الأمل :

ـ ظننت أنك (تبيع كل شىء) كما تقول اللافتة بالخارج .

رأيت علامات التفكير على وجهه .. ربما يفكر الآن فى اقتحام مجال تجارة الفاكهة بسببى .. تركته وهممت بالانصراف .. فسألنى :

ـ هل تقابلنا من قبل ؟ .. لم أتشرف باسم حضرتك يا باشا !

ـ اسمى (السيد) .

وانصرفت وعلى وجهى ابتسامة بحجم الكون .. لقد حصلت على (Time Machine) آلة زمن .. وبحجم صغير جدًا .. لقد شاهدت من قبل آلة زمن على شكل سيارة كما فى فيلم (Back to The Future) ومرة على شكل مذكرات أو صور كما فى فيلم (The Butterfly Effect) ومرة على شكل سلسلة سحرية كما فى فيلم (Harry Potter and the Prisoner of Azkaban) .. أما هذه المرة على شكل ساعة يد .

يمكننى الآن تغيير مستقبلى للأفضل .. لكن كانت فى انتظارى مفاجأة صادمة .

* * *

(4)

حاولت تقديم التوقيت .. ساعتين أو ساعة .. أو حتى دقيقة !

لم أستطع ..

عرفت الآن فقط أن الساعة السحرية يمكنها تأخير الزمن فقط .. تعيدنى للماضى .. لكنها لا يمكن أن تنقلنى إلى المستقبل .. لا دقائق أو حتى ثوانى.

حسنًا .. هذه المفاجأة الجديدة عكرت بعض أحلامى وطموحاتى .. بالتأكيد كنت أريد الذهاب إلى المستقبل لأرى التكنولوجيا الحديثة ووسائل الاتصال الأحدث .. ربما اخترعوا شيئًا أصغر وأحدث من الهاتف المحمول .. وربما أرى وسائل المواصلات الأسرع .. ربما يمتلك كل مواطن طائرة خاصة به فوق منزله .. وربما أشاهد الأجزاء القادمة من سلاسل الأفلام كلها مرة واحدة دون انتظار سنوات .. كنت أريد أن أعرف من سيكونون رؤساء مصر القادمين .. وهل ستدخل مصر كأس العالم مرة أخرى أم لا ؟ .. وهل سيختفى المرض من العالم لأنهم وجدوا دواء لكل داء بسبب تقدم الطب ؟ أم سيحدث العكس ويأتى وباء لعين يقضى على سكان العالم ؟ .. أسئلة كثيرة كنت أتمنى الحصول على إجابة لها لكن للأسف لن أرى المستقبل إلا بسرعة الحياة العادية دون أى قفزات زمنية .

على أى حال .. يمكننى أن أستغل السفر إلى الماضى على أكمل وجه لتحسين مستقبلى .

هناك حكمة تقول : (من كان له ماضٍ جيد .. سيكون له مستقبل جيد) !

لا أعرف من قال هذه الحكمة !.. ولا أعرف إن كان هناك من قالها أصلًا .. ولا أعرف إن كانت هذه حكمة أم لا .. لكنها تبدو لى حكمة جيدة !

لذا سأحاول أن أصنع ماضيًا جيدًا لنفسى .. لأحسّن من مستقبلى .

أمسكت زر عقرب الساعات .. وأدرته للخلف ..

وبدأت الرحلة ..

★ ★ ★

الزمن : قبل ثلاث ساعات .

المكان : حجرة الاجتماعات بشركة (سوبر جالاكسى)

فجأة وجدت نفسى انتقلت بالزمان والمكان إلى حيث كنت منذ ثلاث ساعات مضت .. كنت جالسًا فى اجتماع يرأسه المدير .. وبجوارى زملائى فى الشركة .. ذلك الاجتماع الذى تأخرت فى دخوله بسبب هاتفى المحمول .

« ساعة جميلة ! .. ألم تقل إنك تأخرت عن الاجتماع بسبب هاتفك الذى نفد شحنه وأنه ليس لديك ساعة ؟ »

قالها زميلى (فايز) الذى كان جالسًا بجوارى ولمحنى عندما انتهيت من تأخير التوقيت .. لم أجب سؤاله وأخفيت الساعة فى جيبى .. حاولت تذكر ما دار فى الاجتماع .. حتى أستطيع تحسين صورتى التى تدهورت كثيرًا قبل وأثناء وبعد الاجتماع .

قال المدير بصوت عالٍ من أجل دفع بعض الحماس إلينا :

ـ أريد أفكارًا جديدة .. حرّكوا عقولكم الراكدة .. إن عملاءنا يشتكون من تدهور المبيعات ويقولون إننا السبب .. لا نستطيع القيام بدعاية قوية لمنتجاتهم .. ويهددون بأنهم سيتعاقدون مع شركة دعاية أخرى .

نفس الكلام الذى سمعته من قبل .. إن الماضى يعيد نفسه حرفيًا أمامى الآن كأنى أشاهد فيلمًا للمرة الثانية ..

أتذكر أن زملائى قدموا بعض الأفكار والاقتراحات ولكن المدير لن يعجبه أى اقتراح منها سوى اقتراحات (صوفيا) السكرتيرة الحسناء المثيرة التى تجلس بجواره على مائدة الاجتماع وتدوّن كل الملاحظات والتعليمات المهمة التى يقولها .

قال (أكرم) :

ـ أقترح أن نزيد الإعلانات الضوئية فى الشوارع فهى تجذب الناس أكثر من الإعلانات الورقية الكبيرة .. ونزيد أيضًا شاشات التليفزيون الضخمة التى تعرض الإعلانات فى الميادين .. فهى تجذب الناس أكثر وأكثر .. ونختار الأماكن التى ..

قاطعه المدير قائلًا :

ـ لا .. لا نريد مزيدًا من التكاليف .. أريد أفكارًا لتطوير المحتوى الإعلانى نفسه .

قال (هشام) وهو يحك فروة رأسه بأصابعه :

ـ أقترح أن تستعين بنجوم شباك من الدرجة الأولى .. الجمهور يحب أن يقلد المشاهير .

صاح المدير غاضبًا :

ـ ألم أقل منذ قليل إنى لا أريد مزيدًا من التكاليف فتقترح أنت أن نتعاون مع نجوم يطلبون أجورًا أعلى !

ـ لقد طلبت تطوير المحتوى الإعلانى نفسه وهذه هى فكرتى .

ـ نعم .. هذا يخص المحتوى ولكنه سيكلفنا أكثر .

ـ نحن لن ندفع من جيبنا للنجوم .. بل الشركات التى تتعاقد معنا .

ـ نعم .. أعلم هذا جيدًا .. ولكن لن تجد شركة تجرؤ على هذه الخطوة مع شركة إعلان فاشلة .. لا بد أن ننجح أولًا بدون تكاليف زائدة .. حتى نستطيع أن نقنعهم بعد ذلك برفع تكلفة الإعلان .. لو أننا اقترحنا هذا عليهم الآن فسوف يذهبون إلى شركة محترفة ناجحة طالما أنهم سيتعاقدون مع نجوم كبار .. نحن نتعاقد مع شركات صغيرة لا تستطيع تمويل حملات إعلانية ضخمة .. ولهذا لجئوا إلينا .. لذا لا بد أن نحافظ عليهم حتى لا يفلتوا منا أيضًا .. لا بد أن نساندهم الآن حتى ندفعهم للنجاح والتفوق ويحققوا أرباحًا هائلة بسبب حملاتنا المبتكرة .. وقتها سوف يثقون فى شركتنا وتطلب منهم تمويلًا أكبر .. هل فهمتهم ؟ .. هل لدى أحدكم أى اقتراح ؟ .. (سيد) .. لم أسمعك تقول شيئًا .. أنيت متأخرًا وظللت صامتًا .. هل تفكر فى حملة للصم والبكم ؟

وضحك على دعابته السخيفة وشاركه جميع الزملاء والأصدقاء الضحك .. تماشيًا مع قاعدة (المدير دائمًا على حق) .

المشكلة أنى نسيت الاقتراحات التى قالتها (صوفيا) وقد نالت استحسان المدير .. لذا فضلت الصمت وكتمان غضبى من نافورة الضحك المتفجرة فى المكان .

رفعت (صوفيا) يدها وكأنها تحتاج إذنًا للتحدث .. قمة الأدب يا حضرات .

قال المدير :

ـ تفضلى يا (عـ ...) .. آآا ـ (صوفيا) .. تكلمى .. هل لديك فكرة جديدة؟ أريد أفكارًا خارج الصندوق .

(عـ ...) ! هل من المعقول أن ينسى المدير اسم سكرتيرته المفضلة ؟ بم كان سيناديها ؟ (عبير) ؟ (عفاف) ؟ (عنايات) ؟ .. هل كان سيخلط بين اسمها واسم زوجته ؟

ـ لقد فكرت فى حديث حضرتك .. ولدى بعض الأفكار أتمنى أن تنال إعجاب سيادتك .. أولًا : لماذا لا نستخدم الرسوم المتحركة ؟ .. ما زال الأطفال يعشقون الكارتون .. وينتبهون لأى إعلان به رسوم متحركة ولن يكلفنا سوى أجر الرسامين والمخرج فقط .. هذه الفكرة تصلح لمنتجات الأطفال والأسرة .. أما إعلانات الكبار فيمكن أن نستخدم الجرافيك .. تجذب الشباب جدًا .

لم ينبهر أحد بالفكرة سوى المدير الذى قال :

ـ فكرة ممتازة !

وفجأة راح الكل يتحمس ويمدح (صوفيا) على ذكائها الخارق .. رغم أنهم يعلمون جيدًا أن الفكرة تقليدية ومكررة وتم تنفيذها آلاف المرات من قبل . لم تأت بشىء جديد .. لكن (المدير على حق) كما تعلمون !

تحمست (صوفيا) أكثر وقالت :

ـ ثانيًا : لماذا لا نقدم الإعلان داخل العمل الدرامى نفسه بدلًا من تقديمه فى الفواصل الإعلانية ؟ .. الجمهور يغير القناة بمجرد رؤية جملة (سنعود بعد الفاصل) ويضيع مجهودنا وأموالنا فى عرض إعلانات لا يراها الجمهور .. ولا تنس أيضًا أن الجمهور بدأ الاتجاه إلى الانترنت وزهد التليفزيون .. فأصبح يشاهد حلقات المسلسل دون فواصل على اليوتيوب .

ـ حسنًا .. ماذا تقترحين يا (صوفيا) ؟ أن يكون الإعلان فى شريط أحمر أسفل الشاشة داخل العمل الدرامى نفسه ؟

ـ لا .. فربما القناة تعرض شريطًا إخباريًا أو إعلانيًا يخصها فى نفس الوقت فيطمس الإعلان أسفله .

ـ إذن ماذا تقترحين .. إعلانات تقتحم الشاشة مثل إعلانات مباريات كرة القدم ؟

ضحك (فايز) لكنه كتم ضحكته فورًا عندما لاحظ جدية المدير .. ردت (صوفيا) بعد أن رمقت (فايز) بنظرة قاتلة :

ـ لا .. بل أقترح أن يكون المنتج المراد الإعلان عنه داخل السياق الدرامى ـ البطل يشرب زجاجة (حورس كولا) بعد انتهاء الغداء مع عائلته أو يأكل زبادى (بارادايس) بجوار زوجته .. ثم يشاهد فيلمًا مع أبنائه على تليفزيون (تانجو) قبل أن يركب سيارته الـ (جودزيلا) ذاهبًا إلى عمله .. وهكذا .. تحشر منتجات الشركات فى كل لقطة .. ويظل الإعلان مدة أطول ببقاء العمل الدرامى فى

أذهان المشاهدين ومع تكرار عرضه .. أى بعد 100 سنة نشاهد نفس الفيلم أو المسلسل ونرى الدعاية لنفس المنتج الغذائى أو السيارة أو التليفزيون .

ـ فكرة عبقرية !

قالها المدير .

ـ فكرة مكررة .

قلتها لنفسى ـ وكتمت غيظى .. لقد تم تنفيذ هذه الفكرة كثيرًا من قبل !

حسنًا .. حان الآن موعد الرجوع بالزمان .. وتنفيذ خطتى الجهنمية .

★ ★ ★

(5)

أخرجت الساعة من جيبى وقمت بتأخير التوقيت ..

الزمن : قبل دقيقتين .

كانت (صوفيا) تتحدث :

ـ الجمهور بدأ الاتجاه إلى الإنترنت وزهد التليفزيون .. فأصبح يشاهد حلقات المسلسل دون فواصل على اليوتيوب .

ما زالت السكرتيرة الجميلة المدللة تعرض أفكارها .. سأقوم بتأخير التوقيت مرة أخرى .

الزمن : قبل دقيقتين أخرتين ..

كان المدير يتحدث :

ـ هل فهمتهم ؟ .. هل لدى أحدكم أى اقتراح ؟ .. (سيد) .. لم أسمعك تقول شيئًا .. أنيت متأخرًا وظللت صامتًا .. هل تفكر فى حملة ؟..

قاطعته قبل أن يكمل دعابته السخيفة وينفجر بركان الضحك من الزملاء مجددًا :

ـ لدىَّ بعض الأفكار .. اسمح لى بعرضها .

ـ تفضل .

واقترحت نفس الاقتراحات التى قالتها (صوفيا) منذ قليل .. الرسوم المتحركة الجرافيك والإعلان داخل الدراما .. وبنفس الأمثلة التى ذكرتها مع الشرح .

فوجئت بالمدير يقول :

ـ أفكار مكررة وتقليدية .. تم تنفيذها من قبل .

قلت بدون تفكير ناسيًا أنها أفكارى الآن ولم تعد أفكارها :

ـ هذا كان رأيى أيضًا .. فلماذا كنت معجبًا بها إذن ؟!

قال المدير مندهشًا :

ـ ماذا ؟!

ـ لا شىء .

هذا يعنى أنه كان معجبًا بالأفكار لمجرد أن (صوفيا) قالتها ! ما العمل الآن ؟.. لقد توقعت أن أنال رضا المدير عندما أقول نفس الأفكار التى أنجحت فى الاجتماع من قبل .

تابع المدير :

ـ ثم إنها أفكار مكلفة جدًا .. منتجو الأفلام والمسلسلات يطلبون أموالًا ضخمة لعرض المنتجات داخل أعمالهم .. بالإضافة للقنوات .. يطلبون أيضًا أموالًا أخرى لأنهم عرفوا هذه الحيلة وأصبحوا يراقبون كل المشاهد على الشاشة .. ويطلبون مبلغًا مقابل أى اسم تجارى يظهر داخل العمل الدرامى . هل لديك أى أفكار أخرى يا عبقرى زمانك ؟

ابتلعت السخرية وصمت .. نظرت إلى (صوفيا) .. كانت فى قمة غضبها منى ـ لقد نزعت الأفكار من طرف لسانها قبل أن تقولها ـ لا بد أنها حائرة الآن كيف فعلت هذا ! ولا بد أنها تعصر مخها للبحث عن أفكار أخرى .

فوجئت بها ترفع يدها .. ما الذى ستقوله ؟ هل كانت هناك أفكار أخرى قالتها وتسرعت بالرجوع للزمن ؟ هل ؟

ـ تفضلى يا (صوفيا) .. تكلمى .. هل لديك فكرة جديدة ؟ .. أريد أفكارًا خارج الصندوق .

لم يخطئ المدير هذه المرة فى تذكر اسمها .. قالت :

ـ لقد فكرت فى حديث حضرتك .. ولدى بعض الأفكار أتمنى أن تنال إعجاب سيادتك .. أولًا : لماذا لا نقدم عملًا دراميًا داخل الإعلان ؟ .. كمسلسل طويل حلقاته قصيرة .. وينجذب المشاهد للإعلان ليعرف ما سيحدث فى الإعلان القادم .. كل ما نحتاجه هو سيناريست جيد لكتابة حلقات الإعلان المسلسلة .

ـ فكرة عبقرية ومبتكرة !

الزمن : قبل دقيقة .

المدير يقول :

ـ هل لديك أى أفكار أخرى يا عبقرى زمانك ؟

قلت على الفور ما قالته (صوفيا) خلال هذه الدقيقة .. بالحرف .. بداية من (لماذا لا نقدم عملًا دراميًا داخل الإعلان ؟ ...) حتى آخر كلمة (... سيناريست جيد لكتابة حلقات الإعلان المسلسلة) .. فوجئت به يقول :

ـ فكرة مكررة .. شاهدناها كثيرًا من قبل فى التليفزيون .

صحت محتجًا :

ـ لاااااااا .

ـ ما بك يا (سيد) ؟

وحاول الزملاء تهدئتى .. كنت فى قمة الغضب .. لكنى استعدت صوا
بعد ثوانٍ وقلت :

ـ لا شىء .

رمقتنى (صوفيا) بنظرة كراهية ـ لا بد أنها تظن أنى أقرأ أفكارها ـ
المدير محاولًا امتصاص غضبى :

ـ الفكرة جيدة يا (سيد) لكنها مكررة .. سوف نستخدمها لكنى كنت أر
أفكارًا خارج الصندوق ـ أفكارًا لم تُنفذ من قبل .. أفكارًا عبقرية مبتكرة ـ لهل
لديك ؟

هززت رأسى نفيًا .. فسأل الجميع :

ـ هل لدى أى أحد منكم أفكار ؟..

قاطعته (صوفيا) وكأنها تخشى أن أقول فكرتها قبل أن تقولها ـ لكنى
لا أعلم فكرتها الجديدة ولا أتذكر أنها قالت أفكارًا أخرى !

ـ لقد فكرت فى حديث حضرتك .. ولدى فكرة أتمنى أن تنال إعجاب
سيادتك ـ ماذا لو قمنا بحملة إعلان عكسية ؟

بدا الاهتمام على وجه المدير .. وطلب منها أن تكمل :

ـ نقول فى الإعلان (لا تشترى حورس كولا) أو (لا تأكل زبادى بارادايس
أو (لا تشاهد تليفزيون تانجو) .. طبعًا سوف نثير انتباه المشاهد بهذه
الطريقة .. التحذيرات تجذبك أكثر من الدعاية الإيجابية .. وسوف يظن المعلن

أننا نقوم بالهجوم على بضاعته لمصلحة منافس آخر .. لكن قبل أن ينتهى الإعلان نقول سببًا مضحكًا .. مثلًا (لا تأكل زبادى بارادايس لأنه يساعدك على الهضم وبناء جسمك ولن تحتاج إلى الذهاب إلى النادى لممارسة الرياضة ومقابلة الصديقات) أو .. (لا تشاهد تليفزيون تانجو لأن شاشته الكبيرة ستغنيك عن الذهاب إلى السينما والخروج للنزهة) .. وهكذا .. دعاية مضادة يتضح بعد ذلك أنها دعابة ظريفة لصالح المعلن .. جذبنا المشاهد بطريقة مبتكرة .

ـ فكرة عبقرية يا (صوفيا) !

قالها المدير .. يبدو أنه يؤمن بمبدأ (السكرتيرة دائمًا على حق) .. وراح يصفق لها مما دفع الآخرين للتصفيق ..

لا أتذكر أنى سمعت هذه الفكرة أثناء الاجتماع .. يبدو أنها فكرت فيها الآن عندما اختلست أفكارها .. انشغل الجميع فى التصفيق بينما كنت أستعمل الساعة .

الزمن : منذ دقائق كثيرة .

كان المدير يقول :

ـ هل تفكر فى حملة للصم والبكم ؟

انتظرت موجة الضحك ثم قلت لأخرسهم جميعًا :

ـ لا ـ بل لدى أفكار ستنال إعجابك ـ أولًا : فكرة بشأن استخدام الرسوم المتحركة والجرافيك .. وفكرة أخرى بشأن الإعلان داخل الدراما وفكرة ثالثة بشأن إعلان درامى على شكل حلقات مسلسلة وفكرة رابعة عن الدعاية المضادة .

ورحت أشرح كل ما قالته (صوفيا) خلال الاجتماع والجميع منبهر بكل ما أقوله .. ثم سادت لحظة صمت عندما انتهيت .. وانتظرت رد فعل المدير أما (صوفيا) فكانت فى قمة غضبها صامتة لا تملك اتهامى بأى شىء .. هل يمكن أن تتهمنى بأنى فتحت عقلها ورأيت ما فيه ؟ أو أننى عُدت بالزمن بعد أن عرفت ما ستقوله ؟!

راح المدير وهو ينقل بصره بينى وبين (صوفيا) وبقية الزملاء .. لا عن مدحى .. لقد سكبت عليه جبلًا من الأفكار فليختر منها ما يشاء .. فى النهاية قال :

ـ كلها أفكار تقليدية ومكررة .. هل لدى أحدكم أى أفكار جديدة ؟

ـ لاااااااا

ونهضت من مكانى وذهبت إليه بمنتهى الغضب .. كان فى قمة حيرته وقلقه .. صفعته مرتين ثم لكمته فى كرشه وهو لا يصدق ما يحدث .

ـ عندما تتحدث (صوفيا) فالأفكار رائعة وعبقرية أما إذا قلت نفس الأفكار فتكون تقليدية و(مهلابية) !

ثم انقضضت عليه وأمسكته من قميصه وبدأت العض .. وجدت أنيابى تنغرس فى رقبته .. الزملاء يحاولون منعى وهو يصرخ بأعلى صوته من الألم

★ ★ ★

اندفع (محمود) يحجز بينهما ، لو ترك (على) بعضلاته المفتولة وجسده المتين ينفرد بالفتى المتهافت لفتك به فى لحظات .

ـ « اسمع يا هذا .. لا أعرف ما هى قصتك بالضبط .. لكنك كاذب .. وغد تافه يلفق حكاية خائبة .. وأيضًا تلعب بشكل سيئ ! »

ـ « أنا لا أكذب ! »

وحرّر ذراعه من يد (محمود) التى حجزت عن الصبى الغريب بطشه ثم مال على الأرض وتناول الكرة المطاطية الصفراء المبقّعة وتركها تسقط ثم أدركها بركلة شديدة العنف أطاحت بها إلى عنان السماء :

ـ « لا تكذب ؟ هه ! »

تابعها (محمود) بعينيه وهى تسقط خلف سور البيت الكبير !

نعق غراب وانتفض سرب من طيور شاذة التكوين وحلّق مبتعدًا ، صوت كركبة وكأن الريح يدحرج عددًا من البراميل فى الأفق ثم (كروووووو) ضعيفة جدًا لكنها تصل إلى الأذن فينعتق الخوف من سجن البدن ويتجسد ، لكن الغضب الحار له صوت مختلف . (على) بوجهه الأحمر المحتقن بلون البرقوق يصد يده أمام (سلمان) فى غيظ وسخرية :

ـ « لماذا لا يتفضل ابن الأكابر بنداء عمته فتعيد لنا الكرة لنواصل مباراتنا الودية ؟ »

رأى (محمود) أن فى هذا التهكم قسوة مبالغة ، لكن الصبى فعل أخر شىء كان يتوقعه ؛ فتحة فمه اتسعت من الأذن إلى الأذن فى ابتسامة راضية وقال بصوت بدا جديدًا (ربما غليظًا أكثر ، ربما رنانًا أكثر) : « بل إن لدىّ اقتراحًا أفضل ! »

وعاد السرب يحط ، وتدحرجت البراميل الخفية مع كركرات الريح .

ـ « .. لمـاذا لا تتفضـلا بالدخـول معى ، أقلُه نقـوم معكمـا بواجب الضيافة ؟! »

ثم نعق الغراب .

* * *

www.riwaya.ga

ـ بل أفكارى .. وليس لديك أى شىء يثبت أنها أفكارك .

قالت مندهشة :

ـ ومن قال إنها أفكارى ؟!

ـ ماذا تعنين ؟

ـ فلنكشف أوراقنا حتى ننتهى من هذا الأمر ..

ـ أتمنى ذلك .

ـ أنت استمعت له وهو يعطينى هذه الأفكار حتى أقولها فى الاجتماع من أجل تحسين صورتى أمامكم .. وطالما أنك سمعت جميع الأفكار بالحرف فهذا يعنى أنك كنت تعرف ما يحدث بينى وبين المدير فى تلك اللحظة وكنت تتجسس علينا وعرفت بأمر علاقتنا .

يا إلهى ! كانت تلك هى أفكار المدير أصلًا ! .. ولهذا كان معجبًا بالأفكار ولضايق لأنى قلتها بدلًا من سكرتيرته التى اتضح لى الآن أنها عشيقته أيضًا ـ أكملت :

ـ كم تريد ثمنًا لسكوتك حتى لا تخبر زوجته بالأمر ؟

★ ★ ★

بعد عشر دقائق .. ابتسمت لها وأنا أبحث عن ملابسى قائلًا :

ـ لم أكن أعلم أنكِ تحبيننى .

ـ من قال إنى أحبك ؟! .. لقد نفذت لك ما طلبته .. والآن سأتهمك بالقتل
وستقضى ما تبقى لك من العمر فى السجن .

ـ أيتها الشيطانة !

قالتها بينما كانت تصرخ بأعلى صوتها وهى تمزق ثيابها المتناثرة حولها

ـ النجدة !.. الغوث !..

* * *

(7)

بحثت عن الساعة بسرعة وقمت بتأخير التوقيت .

الزمن : قبل ربع ساعة .

كانت (صوفيا) تجمع أوراقها داخل الملف عندما استوقفتنى قائلة :

ـ انتظر يا (سيد) .. أريد أن أناقشك فى الأفكار التى طرحتها فى الاجتماع.

هرعت إلى الخارج بسرعة لألحق بزملائى قائلًا :

ـ فلنؤجلها لوقت آخر .. لقد وعدت الزملاء بالذهاب معهم إلى عزاء صديق عزيز .

وأفلتُّ من عقوبة السجن ..

نظرت لى قائلة بابتسامة شيطانية :

ـ لن تفلت منى .

إنها تظن أنى تجسست عليها وعلى المدير عندما كانا معًا .. وسوف تترصد لى من الآن وربما تتوقع زيارة منى لزوجته .

ما العمل ؟

أمسكت الساعة ورحت أغير التوقيت .

الزمن : قبل خمس ساعات .

أجلس فى مكتبى - جاءتنى مكالمة هاتفية على هاتفى المحمول :

- آلو .. هناك اجتماع طارئ .. المدير يريدنا بعد ساعتين فى غرفة الاجتماعات .

- حسنًا .. سأكون حاضرًا منذ اللحظة الأولى .

نظرت لشاشة الهاتف .. كان يعمل فى تلك اللحظة وقد أوشك على نفاذ الشحن .. نهضت من مكتبى واتجهت لغرفة المدير لأنفذ خطتى الشريرة .

وجدت هناك (منيرة) السكرتيرة الأخرى للمدير جالسة خلف مكتبها تلعب بأصابعها على أزرار لوحة المفاتيح وتنظر لشاشة الكمبيوتر أمامها بتركيز شديد حتى لا تخطئ فى الكتابة وبجوارها طبق به بقايا جزر .. يبدو أنها انتهت من الأكل .. (منيرة) مدمنة جزر .. يتكون جسمها من لحم ودم وجزر - سألتها :

- أين (صوفيا) ؟

- بالداخل .. أى خدمة ؟

- أريد أن أتحدث معها فى موضوع مهم .

- لا يمكن الآن - ألا ترى ؟

وأشارت بإصبعها بسرعة إلى مصباح أحمر صغير فوق الباب .. كان مضاء - هذا يعنى أنه غير مسموح بالدخول .. ثم عاد إصبعها للنقر فوق الأزرار -

اتجهت إلى الباب بسرعة قبل أن تنتبه لما سوف أفعله .

- يا أستاذ .. انتظر .. ما هذا ؟ .. غير مسموح .

فتحت الباب بقوة .. لم يكن مغلقًا بالمفتاح .. هذا سهّل الأمر كثيرًا .. اندفعت (منيرة) لتمنعنى .. رأيت المدير يقف أمام (صوفيا) بكامل ثيابهما ويقول لها :

ـ والفكرة الأخيرة هى الدعاية العكسية .. ستقولين إن ..

حتى فكرة الدعاية العكسية كانت فكرة المدير !.. يبدو أن (صوفيا) نسيت أن تقولها فى المرة الأولى واكتفت بالأفكار الثلاثة .. وتذكرتها عندما لم تجد أفكارًا تقولها !

نظر المدير غاضبًا نحوى :

ـ ما هذا الذى فعلته ؟! .. هل أنت مجنون ؟ .. أين السكرتيرة ؟

قلت مدافعًا عن (منيرة) :

ـ ليس لها ذنب .. أنا الذى اقتحمت الـ ..

قاطعنى قائلًا :

ـ ألا ترى المصباح الأحمر ؟ .. أنت مفصول عن العمل .. حتى تتعلم احترام القواعد والقوانين .

نظرت له بغضب وأمسكت الساعة .

* * *

الزمن : قبل ربع ساعة .

وجدت نفسى جالسًا فى مكتبى أمسك كوب الشاى الذى أعدّه عم (عبده) شكرته ثم نظرت إلى ساعة الهاتف المحمول عندما جاء اتصال من خطيبتى (نيفين) ..

أتذكر أنى قمت بالرد .. وأتذكر المحادثة الهاتفية كلها .. لم يكن هناك شىء يستدعى الاتصال .. كانت دردشة عادية .. لذا سأتجاهل الاتصال هذه المرة فأنا أعرف مضمون المحادثة قبل أن تحدث .. سوف تخبرنى أن أخا زوج خالتها (بكرى) قد مات .. على أى حال سوف أتصل بها لاحقًا وأعزيها مجددًا .. أما الآن فأنا لست متفرغًا لها .. أريد أن أنفذ خطتى الشريرة .. اتجهت إلى مكتب المدير وسألت (منيرة) التى كانت تبحث عن الأوراق التى ستكتبها وطبق الجزر هناك ممتلئ عن آخره .. لم تبدأ ملحمة الأكل بعد :

ـ أين (صوفيا) ؟

ـ بالداخل .. أى خدمة ؟

ـ منذ متى وهى بالداخل ؟

وضعت (منيرة) الأوراق أمامها على المكتب استعدادًا لنقل السطور منها إلى شاشة الكمبيوتر .. سألتنى دون أن ترفع رأسها عن الورق :

ـ لماذا تسأل ؟

ـ كنت أريدها فى ..

ـ انتظر حتى ينتهى الاجتماع ..

نظرت إلى المصباح الأحمر المضيء .. أظن أن الوقت مناسب هذه المرة !..

اقتحمت الغرفة .. كانا يقتربان من بعضهما وهو يقول لها :

ـ الفكرة الأولى حول الرسوم المتحركة و ...

شعرا بارتباك عندما رأياني .. كأنهما كانا ينتويان فعل شيء دنيء ..

تغلب المدير على ارتباكه وقال :

ـ كيف .. تقتحم .. المكتب .. بهذه الطريقة ؟ .. ألم تتعلم الطُرق ؟ .. وأين السكرتيرة ؟

جذبتني السكرتيرة السمينة من ذراعي لتدفعني للخارج وهي تقول :

ـ لقد حذرته .. لكنه صمم على الدخول .

كانت (صوفيا) تطرق برأسها في الأرض بخجل .. إن كانت تعلم معنى كلمة (خجل) !

أما المدير فقال :

ـ أنت مفصول عن العمل .. أما أنتِ يا (منيرة) فسوف أخصم لك ستة أيام .

أمسكت الساعة و ...

الزمن : قبل دقيقتين .

وجدت نفسي جالسًا في مكتبي مجددًا .. أمسك كوب الشاي الذي أعدّه عم (عبده) .. شكرته ثم نظرت إلى ساعة الهاتف المحمول عندما جاء اتصال من خطيبتي (نيفين) ..

هذه المرة قمت بالرد ـ ليس هناك ما يشغلنى الآن .. كررت نفس المكالمة الهاتفية التى قمت بها منذ ساعات قبل أن أرجع بالزمن .. أخبرتنى أن أخا زوج خالتها (بكرى) قد مات .. قلت :

ـ البقاء لله !

لم أرد إخبارها أنى لا أعرف اسم زوج خالتها أصلًا .. ولا أعرف أن خالتها متزوجة ـ لم أرد أن أحرج نفسى أمامها .. لقد خطبت (نيفين) منذ مدة بسيطة لذا لم أستطع حفظ جميع أسماء العائلة الكريمة ولا بياناتهم الاجتماعية.

مرت خمس دقائق .. أنهيت المكالمة بحجة أن المدير ينادى ـ

ثم ذهبت إلى غرفته .. لم أسأل (منيرة) هذه المرة عن مكان (صوفيا). كانت مشغولة فى الكتابة .. وطبق الجزر هناك قد نقص بعض الجزرات ـ فتحت الباب عنوة وسط صياحها ..

رأيتهما فى الداخل فى وضع سيئ للغاية .. المدير يصيح بى :

ـ أغلق الباب بسرعة وإلا فصلتك عن العمل .

ـ لقد فصلتنى بالفعل مرتين من قبل !

ـ أغلق الباب وسأعطيك المبلغ الذى تريده .

ـ لا أريد مالًا .. أنا أريد الفضيحة .

ورحت أستدعى جميع زملائى فى المكتب ليأتوا بسرعة ويشاهدوا بأنفسهم.

كانت (صوفيا) تلطم خديها وهى تدارى نفسها من العيون ثم فجأة سقطت على الأرض .. يبدو أنها فقدت الوعى من الخوف والرعب والذعر والقلق والتوتر .

تجمع الزملاء حولها وبعد دقائق صاح أحدهم مذعورًا :

ـ لقد توقف قلبها عن النبض .. لقد ماتت !

★ ★ ★

(8)

يا إلهى !

لقد تسببت فى موت (صوفيا) ..

لم أكن أتخيل أن تصل الأمور إلى هذا الحد المأساوى .. لم أخطط لهذا أبدًا .

كنت فقط أريد الانتقام منها بسبب خطتها الشريرة التى نفذتها فى المرة الأولى .. فقررت أن أنتقم بها قبل أن تنتقم بى .

كانت تريد أن تصنع فضيحة بنفسها ـ فى المرة الأولى ـ وتدخلنى السجن لم أكن أتخيل أنها تخشى الفضيحة الأخرى إلى هذا الحد !

فى المرة الأولى ستكون فى نظر المجتمع ضحية اغتصاب .. أما فى المرة الأخيرة فستكون أمام الجميع امرأة لعوبًا خطفت رجلًا من زوجته .

الصراخ والعويل والبكاء يعم المكان .. لم أستطع تحمل الموقف .. فقررت بتأخير التوقيت .

★ ★ ★

الزمن : منذ ثلاث دقائق .

وجدت نفسى أمام مكتب المدير و(منيرة) تسألنى وهى لا ترفع عينيها عن الورق أمامها :

ـ انتظر حتى ينتهى الاجتماع ..

أجبتها قائلًا :

ـ حسنًا .. سأنتظر فى مكتبى .

وعُدت إلى مكتبى لأستكمل كوب الشاى .

لم أحضر الاجتماع .. فى النهاية لن أستفيد شيئًا .. ستقول (صوفيا) الأفكار التى أعطاها لها المدير لتقولها هى بلسانها وكأنها أفكارها .

لما لو فعلت أنا .. ستظن (صوفيا) أنى كنت أتجسس عليهما .

ثم جاءتنى فكرة !

لماذا لا أعود بالزمن وأخبر المدير بهذه الأفكار قبل الاجتماع ؟ .. سوف يعلمان أنها أفكارى .. وبهذا لن يشك أحدهما أنى تجسست عليهما .. وربما يبحث لها عن أفكار أخرى لتطرحها أثناء الاجتماع .

أمسكت الساعة وأخرت التوقيت .. إلى ساعات الصباح الباكر .

★ ★ ★

الزمن : صباح هذا اليوم .

ذهبت إلى مكتب المدير .. جلست معه أخبره بأفكاره نفسها قبل أن يقولها للسكرتيرة .

رأيت حيرته وأنا أخبره بنفس الأفكار التى كان قد جهزها للاجتماع .. ثم خرجت من الغرفة وابتسامتى تملأ وجهى ..

أمامى ساعات من الانتظار حتى يأتى موعد ذلك الاجتماع .. حرصت على شحن هاتفى هذه المرة ..

عم (عبده) أحضر كوب الشاى .. خطيبتى (نيفين) اتصلت وكررت على المحادثة ..

ـ عمو (بكرى) مات .

لا بد أن أتظاهر بالحيرة وكأنى أسمع الخبر لأول مرة .. سألتها :

ـ من ؟

ـ أخو زوج خالتى .

فكرت أن أسألها عن اسم زوج خالتها لكنى تراجعت عن الفكرة واكتفيت بكلمة العزاء .. الوقت يمر ببطء .. كم تبقى من الوقت على موعد الاجتماع!

★ ★ ★

فى الاجتماع .. قال المدير :

ـ فى صباح اليوم أخبرنى أحدكم بأربع أفكار رائعة يستحق أن نهنئه عليها. صفقوا معى جميعًا لـ ..

نهضت من مكانى لأتلقى التهنئة .. عندما فوجئت به يقول :

ـ العبقرية (صوفيا) .

كان موقفًا محرجًا لى .. ليتنى ما نهضت ووقفت ! .. قلت مدافعًا عن موقفى الحرج وسط مهرجان التصفيق للسكرتيرة الحسناء :

ـ لكن هذه أفكارى !

صاح المدير محتجًا :

ـ كيف تكون أفكارك .. وقد أخبرتنى بها (صوفيا) على البريد الإلكترونى .. لقد سرقت أفكارها وجئت مكتبى لتخبرنى بها يا لص الأفكار .

هذه إذن الخطة الجديدة التى فكروا فيها أثناء اجتماعهم السرى .

تابع المدير :

ـ أنت مفصول عن العمل .. لا نقبل بيننا لص أفكار .

نهضت من مكانى واندفعت نحوه قائلًا :

ـ يبدو أنه مقدر لى أن أصفعك وأعضك فى كل مرة .

هذه المرة كان متأهبًا فهرب منى واتجه ناحية النافذة .. لم أستطع منع نفسى من رفعه عاليًا وحمله ثم قذفه من النافذة .. من الدور الرابع عشر .

وصرخاته تملأ المكان أثناء السقوط ..

* * *

(9)

استدرت لزملائى قائلًا بابتسامة :

ـ اطمئنوا لم يمت .. لا تقلقوا .

رأيت فى عيونهم نظرات دهشة واستنكار .. ظنوا أنى فقدت عقلى . قال صديقى (فايز) وهو يندفع نحو النافذة ليرى ما صار إليه مديره :

ـ هل أنت مجنون ؟! .. بالتأكيد مات .. نحن فى الطابق الرابع عشر .

قلت بهدوء لا يتناسب مع رجل ارتكب جريمة قتل لتوه :

ـ وأنا أقول لكم إنه لم يمت .

نظروا جميعًا من النافذة وهُم مندهشون من هذا البرود .. رأوا جثة مديرهم بالأسفل .. وبعض الناس تجمعوا حولها وراحوا ينظرون لأعلى ويشيرون ناحية النافذة التى نطل منها .. قلت لهم :

ـ أتدرون .. لو أن كل موظف مطحون قرر أن يقتل مديره المستبد الديكتاتور .. سنعيش جميعًا فى حب وسلام ورخاء ؟

ـ ما نعلمه أنك ستعيش بقية عمرك فى السجن أو سيعدمونك .. أمسكوه جيدًا .. لا تدعوه يفلت منكم .

أمسكت ساعتى وعُدت بالزمن للخلف .

★ ★ ★

الزمن : قبل خمس ساعات .

أجلس فى مكتبى .. جاءتنى مكالمة على هاتفى المحمول .. سمعت على الطرف الآخر من يقول :

ـ ألو .. هناك اجتماع طارئ .. المدير يريدنا بعد ساعتين فى غرفة الاجتماعات .

ـ حسنًا .. أخبر المدير أنى لن أحضر .. أنا مستقيل .. سلام .

لقد فعلت هذا لمصلحته ولمصلحة السكرتيرة أيضًا .. أحدهما سيموت إذا حضرت هذا الاجتماع الملعون !

خرجت من الشركة وقررت أن أقضى هذا اليوم فى المنزل .

يبدو أنه لا مستقبل لى مع هذه الشركة .. الاستقالة أفضل حل .. سأبحث عن شركة أخرى يكون مديرها محترمًا .. أو على الأقل ليس على علاقة بسكرتيرته الحسناء .. حتى لو كانت الاحتمالات ضعيفة فى هذا الصدد !

لمحت إعلانًا على عمود كهرباء .. عن رغبة إحدى الشركات فى تعيين شباب من خريجى كلية التجارة .. بمرتبات مجزية .. سجلت الرقم على هاتفى واتصلت بهم وعرفت العنوان .. ذهبت إلى المنزل .. فوجئ أبى بعودتى مبكرًا من العمل .. طبعًا لم أخبره أنى قتلت المدير وبعدها استقلت من العمل .. لن يفهم مثل هذه الأمور !

تناولت الغداء معه .. ثم قمت بتجهيز شهاداتى وأوراقى .. وليست أفضل الشهادات عندى .. وقبل خروجى جاءنى اتصال من خطيبتى (نيفين) ..

www.riwaya.ga

ـ عمو (بكرى) مات .

ـ أخو زوج خالتك ؟

ـ نعم .. هو .. ظننت أنك نسيت اسمه .

ـ البقاء لله .

أنهيت المكالمة بسرعة وذهبت إلى عنوان الشركة الجديدة .. لأتقدم للوظيفة .. وأنا أدعو الله أن يوفقنى فى المقابلة .

وجدت عددًا كبيرًا من الشباب هناك .. جميعهم متأنقون ومستعدون للتحدى .. أظن أن فرصتى ضعيفة للنجاة بينهم ! .. لكن .. مع الساعة السحرية قد تختلف الاحتمالات لأقصى درجة !

على أى حال انتظرت دورى فى ملل .. ليت الساعة تنقلنى بالزمن للأمام ! لكنها للأسف لا تملك هذه الخاصية !

جاءنى اتصال من صديقى (فايز) .. كنت قد شحنت الهاتف فى المنزل لذا بطاريته ممتلئة .. سألنى :

ـ أين أنت ؟! .. الاجتماع سيبدأ الآن .

ـ لن أحضر .. لقد استقلت .. ألم يصلك الخبر ؟

ـ ماذا ؟!

ـ دعك منى واسمعنى جيدًا .. سوف أخبرك ببعض الأفكار العبقرية التى يمكن أن تقولها فى الاجتماع .. أولًا : الرسوم المتحركة ....

* * *

جاء دورى .. فدخلت لأجرى المقابلة .. والتى على أساسها سوف يتم قبولى أو طردى فى الحال .

كانت لجنة من فردين .. رجل وامرأة .. قدمت أوراقى لهما .. CV ممتازة .. جميع شهاداتى .. شهادة الجامعة وشهادات بالدورات التى حصلت عليها وشهادة خبرة .. إلخ .

سألنى الرجل :

ـ ما هى آخر شركة عملت بها ؟

ـ شركة (سوبر جلاكسى) للدعاية والإعلان .

ـ متى تركتها ؟

ـ اليوم .

ظهرت الدهشة على وجهه وقال :

ـ تركتها اليوم وتتقدم لوظيفة أخرى فى نفس اليوم .. أنت لا تضيع وقتًا .. يعجبنى هذا الحماس والنشاط فى العمل .

ابتسمت لهذا المدح .. فسألنى :

ـ ولماذا تركتها ؟

أجبت بعفوية وبكل صدق :

ـ لقد قتلت المدير .

* * *

(10)

ساد الصمت المكان - ثم انطلقت فجأة ضحكة عالية من المرأة التى تجلس بجواره .. فتشجعت قائلًا :

- آه .. نسيت أن أقول .. إنى قتلت السكرتيرة أيضًا .. بطريقة غير مباشرة.

ضحك الرجل هذه المرة .. بينما توقفت المرأة بغتة عن الضحك - يبدو أنها السكرتيرة هنا .. لقد أصبتها بخنجر دون قصد .. قلت بسرعة لتدارك الأمر :

- أنا أمزح طبعًا .

جمع الرجل أوراقى بعصبية وأعطاها لى صانعًا ابتسامة صفراء وقال :

- حسنًا .. يمكنك الانصراف .. انتظر منا اتصالًا .

نهضت من مكانى قائلًا :

- أنتم لن تتصلوا ! .. من الواضح أنى فشلت فى المقابلة .. هل يمكن أن أعرف السبب ؟

قال الرجل بكل صراحة وجدية :

- نحن لا نميل لتوظيف كثيرى المزاح .

نظرت إلى الساعة السحرية وعبثت بالزمن ..

* * *

الزمن : قبل دقيقة .

قال الرجل :

ـ تركتها اليوم وتتقدم لوظيفة أخرى فى نفس اليوم .. أنت لا تضيع وقتًا .. يعجبنى هذا الحماس والنشاط فى العمل .

لم أرد ولم أبتسم .. سأكون فى منتهى الجدية هذه المرة .. طالما أنهم يكرهون المزاح بكل أشكاله .. سألنى :

ـ ولماذا تركتها ؟

أواجه نفس السؤال مرة أخرى .. لا بد أن أختار إجابة جديدة وجيدة وجادة ومقنعة ولا تشوه صورتى أمامه .

ـ كان العمل قليلًا .. وأنا شعلة من النشاط .. فشعرت أنى لن أستطيع تحقيق طموحاتى فى تلك الشركة .

يبدو أن إجابتى نالت رضاه وإعجابه .. سألنى باهتمام :

ـ وما هى طموحاتك ؟ .. كيف ترى نفسك بعد خمس سنين ؟

ذلك السؤال التقليدى الذى كنت أواجهه فى كل مقابلة عمل قبل أن يتم تعيينى فى شركة (سوبر جالاكسى) .. قلت الإجابة الشائعة المعتادة :

ـ طموحى أن أصبح فى مكانك .

وجدته يجمع أوراقى مرة أخرى ويعطيها لى بابتسامة صفراء بغيضة .. مكررًا نفس الجملة التى سمعتها من قبل :

ـ حسنًا .. يمكنك الانصراف .. انتظر منا اتصالًا .

استوقفته قائلًا بغضب :

ـ مهلًا .. ألم تعجبك الإجابة ؟!

ابتسم ابتسامة صفراء مجددًا وأجاب :

ـ بلى .. لقد أعجبتنا .

ـ لا يبدو الأمر كذلك .. حسنًا .. يمكننى أن أفكر فى إجابة أفضل .. أعطنى فرصة .

ـ لقد أجبت بالفعل .. والآن يمكنك الانصراف .. لدينا عمل كثير هنا ونريد أن نقابل آخرين غيرك .

فكرت فى حيلة ذكية .. قلت :

ـ حسنًا .. أنا لا أريد هذه الوظيفة .. صدقنى .. أنا أريد فقط أن أعرف منك الإجابة المثلى لهذا السؤال والتى كانت ستنال إعجابك إذا قلتها وستوظفنى فورًا إذا سمعتها منى ..

اعترض قائلًا :

ـ لا .. نحن لا نقوم بتعيين أحد بناء على إجابة سؤال واحد فقط !

اعترضت على اعتراضه قائلًا :

ـ لكنك طلبت منى الانصراف بعد سؤال واحد فقط ! .. وهذا يعنى أن إجابتى كانت سيئة لدرجة أنك لم تود أن تسألنى أى أسئلة أخرى .. لذا أرجوك أريد أن أعرف إجابة هذا السؤال فقط .. وسأنصرف بعدها ولن ترى وجهى مرة أخرى .

ـ ولماذا تريد معرفتها ؟! .. لتخبر الشباب خارج الغرفة بها ؟ يا للسذاجة ! .. ابتسمت قائلًا :

ـ لا ـ لن أخبر بها أحدًا .. ما الذى سأستفيده ؟! .. وحتى لو فعلت فسوف تعرف وقتها وسوف تطرح عليهم أسئلة أخرى .. وقد قلت بنفسك منذ قليل إنكم لا تقومون بالتعيين بناء على إجابة سؤال واحد فقط .. صدقنى من فضلك ـ أنا أريد معرفة إجابة هذا السؤال من أجل فضولى الشخصى فقط .

صمت لثوانٍ معدودة .. يبدو أنه اقتنع بوجهة نظرى فقد قال :

ـ حسنًا ـ ليس هناك إجابة مثالية لهذا السؤال .. نحن نبحث فقط عن الإجابات الطبيعية والتلقائية والصادقة .. التى تدل على الشخصية الطموحة ـ لا نبحث عن إجابة ذكية مكررة محفوظة .

ـ كل هذا جميل ! .. لكنى أريد أن أسمع منك أفضل إجابة لهذا السؤال .

ـ حسنًا .. كان يمكنك أن تقول ـ مثلًا ـ إن .. طموحك لا حدود له .. كل يوم لك طموح جديد .. وإنى لو سألتك نفس السؤال غدًا فستكون إجابتك مختلفة عن إجابة اليوم .. طموحك يتجدد باستمرار ويتطور حسب المكان والخبرة التى تكتسبها أثناء العمل .

قمت بتأخير الساعة .. وعُدت بالزمن ..

الزمن : قبل دقيقتين .

كان الرجل فى منتصف السؤال .. حيث لم أسمع منه سوى :

ـ .. نفسك بعد خمس سنين ؟

أجبته على الفور بنفس الإجابة التى أخبرنى بها :

ـ طموحى لا حدود له .. كل يوم لى طموح جديد .. لو أنك سألتنى نفس السؤال غدًا فستكون إجابتى مختلفة عن إجابة اليوم .. طموحى يتجدد باستمرار ويتطور حسب المكان والخبرة التى أكتسبها أثناء العمل .

ظهر الانبهار على وجهه البرىء .. لا يعلم أنه أعطانى الإجابة بنفسه !

ثم بدأ فى إلقاء أسئلة أخرى ..

هناك أمل فى الحصول على هذه الوظيفة إذن ! .. تحية شكر وتقدير لعملية التعديل والتغيير .

★ ★ ★

ـ لماذا ترغب فى هذه الوظيفة ؟

ـ أشعر بالملل الشديد ولا أجد شيئًا آخر تافهًا لأقوم به .

قمت بتأخير الساعة عشر ثوان .. وعُدت بالزمن وسألنى نفس السؤال وقلت إجابة أخرى أفضل ..

★ ★ ★

ـ لماذا ينبغى علينا توظيفك أنت بالتحديد ؟

ـ لأنى أجلب النحس .. أى شركة تقوم بتعيينى .. تشهر إفلاسها فورًا .

أخرت الساعة وعُدت بالزمن وقلت إجابة أخرى أفضل لنفس السؤال .

★ ★ ★

- ما هى معايير تقييمك للنجاح ؟

- النجاح ليس فى إنجاز العمل .. بل النجاح هو أن تصبح ثريًا فى أقل وقت دون دخول السجن .

عُدت بالزمن وقلت إجابة أخرى أفضل ..

* * *

- صف لنا مشكلة تعرضت لها فى عملك السابق وكيف استطعت التعامل معها .

- اكتشفت أن مديرى السابق على علاقة سرية بالسكرتيرة ولهذا يؤيد أفكارها طوال الوقت ويرفض أفكارى .. فقتلت المدير بعد أن عبثت مع السكرتيرة .

عُدت بالزمن وقلت إجابة أفضل ..

* * *

- كيف تتعامل مع الضغط والتوتر الوظيفى ؟

- تعرضت لبعض الضغط والتوتر والعصبية من قِبل مديرى السابق .. لم أستريح نفسيًا إلا عندما صفعت المدير ولكمته ثم قذفته من النافذة .. هذا شىء مريح جدًا للأعصاب !

عُدت بالزمن وقلت إجابة أفضل ..

* * *

- ما هى أقوى نقاط قوتك ؟

ـ أحفظ جدول الضرب الصغير وجدول الضرب الكبير .. وأستطيع القيام بأى عملية حسابية معقدة فى غضون ثوان باستخدام الآلة الحاسبة طبعًا .. وأستطيع ترجمة أى جملة .. باستخدام القاموس أو Google طبعًا .

عُدت بالزمن ..

★ ★ ★

ـ ما هى أكبر نقاط ضعفك ؟

ـ سيئ جدًا فى اللغة الإنجليزية وقواعدها .. وبخاصة زمن المضارع التام وقاعدة (If) والمبنى للمجهول (Passive) .. وضعيف جدًا أمام النساء والعاطفية والملوخية ! ـ ولا أستطيع العمل تحت ضغط .. أنا لا أحب العمل أصلًا .

عُدت بالزمن ..

★ ★ ★

ـ ما هى أهدافك فى الحياة ؟

ـ أريد أن أتزوج السكرتيرة الجميلة التى تجلس بجوارك .

عُدت بالزمن ..

★ ★ ★

كنت أقول أحيانًا إجابات مضحكة أو غريبة من باب المزاح والتجربة ومشاهدة ردود الأفعال .. طالما أننى أستطيع إعادة المقابلة كلما رغبت ـ ما المانع من بعض التسلية وقليل من المرح ؟!

مثلاً عندما قلت (أريد أن أتزوج السكرتيرة الجميلة التى تجلس بجوارك) ـ تبسمت هى للإجابة الطريفة والمدح .. بينما كان رد فعله عنيفًا ـ سبنى ونهض إيجارك معى ..

أو عندما سألتنى :

ـ من هو مثلك الأعلى ؟

وكانت إجابتى هى :

ـ أمك .

لا داعى من شرح رد فعله العنيف القاسى .. فلا بد أنكم تستطيعون تخمينه وتخيله ـ ثم عُدت بالزمن بعدها فورًا .

كنت أعود بالزمن فى كل مرة لأقوم بتغيير الإجابة للأفضل .. ظللت أعيد المقابلة مرات كثيرة كالممثل الذى يعيد تمثيل المشاهد بحثًا عن درجة إتقان أفضل .. أو حسب أوامر المخرج !

فى كل مرة كنت أعدّل إجابة السؤال حتى أحصل فى النهاية على الإجابة المطلوبة وأنتقل للسؤال الذى يليه .. كمن يدخل مسابقة واللجنة تعطيه فرصًا كثيرة مع كل سؤال .

لقد عُدت بالزمن أكثر من 120 مرة تقريبًا .

★ ★ ★

قرأ الرجل من ورقة أمامه قائلًا :

ـ فى الـ CV هنا .. تقول إنك تتقن خمس لغات !

قلت كاذبًا :

ـ نعم .

ـ ما هى هذه اللغات ؟

ـ أتحدث باللاوندى والسكندرية والصعيدية واللغة العامية واللغة العربية الفصحى ـ استيقظ وركز واصحَ .

وطبعًا عُدت بالزمن ..

صار الأمر قهريًا بالنسبة لى .. لا أستطيع ترك فرصة إلا مزحت فيها ـ كانت ردود أفعالهم مدهشة وأحيانًا طريفة ولذيذة تستحق التسجيل وتشجعنى على تكرار المقالب والاستمرار فيها .. كأنى أنفذ برنامج (الكاميرا الخفية) دون أى أضرار على صحتى أو مستقبلى الوظيفى .

الزمن : قبل عشر ثوان .

كان يسألنى :

ـ ما هى هذه اللغات ؟

أجبت هذه المرة بمنتهى الجدية .. محاولًا تذكر أسماء اللغات التى لا أجيدها أصلًا :

ـ الإنجليزية ـ الفرنسية .. الألمانية .. الأسبانية .. الإيطالية .. التركية .

ـ لكن هذه ست لغات وليست خمس !

ـ حقًا ! ـ إذن نسيت أن أصحح هذه المعلومة فى بياناتى .

ـ واللغة العربية ؟ .. لغتك الأم .. إذن أنت تجيد سبع لغات !

ـ إممم .. هذا صحيح .. وأعرف أيضًا بعض المفردات من لغات أخرى .

ـ جميل ! .. أنا درست الألمانية .. هل يمكن أن تترجم هذه الجملة ؟

وكتب على ورقة أمامه جملة طويلة باللغة الألمانية .. وأنا لا أعرف كلمة واحدة منها !

* * *

www.riwaya.ga

(11)

أمسكت الورقة .. الحروف تشبه حروف اللغة الإنجليزية .. هل هذه لغة ألمانية حقًا أم إنه يختبرنى ؟

قلت بهدوء أعصاب :

ـ الترجمة : أرتبنا فى منور (أيمن) وأرنب (أيمن) عند (أم ترتر) وسلامتها (أم حسن) من العين ومن الحسد .. ماذا ؟! .. ليست هذه هى الترجمة الصحيحة ؟ غريب !

نهضت من مقعدى لأغادر الغرفة بهدوء .. لكن توقفت وسألته :

ـ هل يمكن أن أعرف الترجمة الصحيحة لهذه الجملة ؟

قال بلهجة غاضبة بعد سماعه ترجمتى الساخرة :

ـ لا .. ادخل على جوجل وترجمها بنفسك .. ولا ترينا وجهك مرة أخرى - وأنصحك أن تضع معلومات صحيحة عنك فى أوراقك .. حتى يتم قبولك فى أى شركة محترمة .

ـ حسنًا ـ سأدفع لك الآن ألف جنيه وأخبرنى بالترجمة الصحيحة لهذه الجملة وسأخرج فورًا .

لم يصدق الرجل ما قلته .. فأخرجت المال من جيبى ووضعته أمامه على المنضدة لأثبت جدية العرض المغرى .. ألف جنيه مقابل ترجمة جملة واحدة فقط .. قلت بجدية تامة ليس بها ذرة من مزاح :

ـ ما رأيك ؟ .. سأدفع لك مقابل ترجمة الجملة فقط وسأنصرف فى الحال ولن ترى وجهى أبدًا .

وتم قبول الصفقة وأعطانى الترجمة وأخذ الثمن ..

الزمن : قبل دقيقتين .

فجأة وجدت نفسى جالسًا على المقعد .. بعد أن كنت واقفًا .. وكان الرجل يكمل جملته قائلًا :

ـ .... ت الألمانية .. هل يمكن أن تترجم هذه الجملة ؟

وكتب جملة على ورقة أمامه .. أتمنى أن يفكر فى نفس الجملة ولا يفكر فى جملة أخرى .

أعطانى الورقة .. أشعر أنها بنفس طول الجملة السابقة ـ نفس عدد الكلمات .. لذا قلت بكل ثقة :

ـ الترجمة : أنا حمار ولا أجيد اللغة الألمانية .. لكنى أحتاج لهذه الوظيفة بشدة ـ فأرجو أن تقبلونى معكم .

ابتسم الرجل ابتسامة رضا .. وقال :

ـ الترجمة صحيحة تمامًا .. أعتذر لأنى شككت فى قدراتك .

كانت هذه هى الترجمة الصحيحة التى أخبرنى بها مقابل الألف جنيه ـ والمال عاد بالزمن إلى جيبى ! .. قلت ساخرًا :

ـ إذن أنا أجيد الألمانية .. من منا الحمار الآن ؟!

غضب الرجل من تعليقى الساخر .. غضب بشدة .

الزمن : قبل خمس ثوان .

كان الرجل يقول :

ـ الترجمة صحيحة تمامًا .. أعتذر لأنى شككت فى قدراتك .

قلت هذه المرة تعليق أفضل :

ـ لا داعى من الاعتذار سيدى .

ماذا لو أنه رفض إعطائى الترجمة الصحيحة مقابل المال ؟ .. كنت سأضطر للعودة بالزمن نصف ساعة أو ساعة .. من أجل الذهاب إلى مركز ترجمة .. بعد حفظ حروف الجملة الألمانية جيدًا فى ذهنى .. ثم أنتظر دورى مجددًا وأعيد المقابلة من البداية .. لأنى لا أستطيع تقديم الزمن للأسف !

* * *

سألنى بعض الأسئلة الصعبة الأخرى فى مجال التجارة والمحاسبة .. ودفعت له نفس الألف جنيه أكثر من مرة لأعرف الإجابات الصحيحة منه ..

حتى سمعته أخيرًا يقول :

ـ مبروك الوظيفة مقدمًا يا أستاذ (سيد) .. أنت أفضل المتقدمين حتى الآن .. لا يمكن أن نفرط فيك أبدًا .. جميع إجاباتك نموذجية على كل الأسئلة وأفكارك تتناسب مع أفكارى بشكل مدهش كأنك تنطق بما يدور فى عقلى .. حتى ترجمتك للجملة الألمانية كانت سريعة للغاية ومثالية ! وإتقانك لست

لغات أجنبية أيضًا .. هذا رائع ! .. لا أظن أن هناك أحدًا آخر من المنتظرين بالخارج يمكن أن يتفوق عليك .

خرجت من هناك فى قمة السعادة .. هذه الساعة خدمتنى جدًا .. ووفرت شهورًا من إجراء المقابلات .. ومنحتنى وظيفة جديدة .

لكن .. لم أتوقع ما حدث بعد ذلك .. أبدًا .

* * *

ومرت الأيام ..

انتظرت اتصالاً من الشركة الجديدة ليخبرونى بموعد استلام الوظيفة .. لكن لم يتصل أحد !

كنت قد أخبرت أبى أنى استقلت من شركة (سوبر جالاكسى) وأنه سيتم تعيينى فى شركة أخرى بمرتب أفضل ومكان أفضل ..

ظهر بعض القلق على وجه أبى وقال :

- يا ولدى .. قالوا قديمًا (عصفور فى اليد خير من عشرة على الشجرة) .

- اطمئن يا أبى .. لقد تم قبولى فى الوظيفة واجتزت جميع الاختبارات بامتياز - بل أكثر من ممتاز .. فقط أنا منتظر اتصالهم .

عندما تأخر اتصالهم .. ذهبت إلى الشركة بنفسى لأطمئن .. أخبرونى أنه تم تعيين آخر .. وتم رفضى والسبب هو أن مؤهلاتى أكبر من الوظيفة نفسها - (overqualified) .

ما هذا ؟! لم أتوقع هذا أبدًا !

قالوا إنهم شعروا بأنى سأطلب مرتبًا أكبر من المرتب المتاح .. نظرًا لقدراتى الضخمة وإمكانياتى الكبيرة ومؤهلاتى الكثيرة .. وربما أرفض الوظيفة بعد أن يتم تعيينى - بسبب مرتبها الذى لا يتناسب مع حجم خبرتى ومؤهلى وكفاءتى !

يا إلهى ! .. لو أنهم يعلمون ! .. أنا أقل بكثير مما كنت عليه فى المقابلة. لقد كررتها أكثر من 120 مرة حتى أحصل على الإجابات الصحيحة للأسئلة. تخيلوا .. مائة وعشرون مرة ! هل هذا مستوى شخص فوق مستوى الوظيفة؟

ما العمل ؟! هل أعود بالزمن ليوم المقابلة وأجيب عن بعض الأسئلة بغباء وأجيب عن بعضها الآخر بغباء حتى يتأكدوا أنى شخص عادى يناسب الوظيفة وأنى أقبل بأى مرتب ؟!

لكن كيف أضمن أننى سأكون فى المستوى الذى يريدونه بالضبط ؟!

يا للحيرة !

أم أعود بالزمن ليوم الاجتماع الطارئ فى شركة (سوبر جالاكسى) وألتزم الصمت طوال الاجتماع وأسمع أفكار المدير على لسان السكرتيرة ، ويعود الجميع لبيوتهم سعداء ؟

فجأة .. قطع حبل أفكارى رنة تنطلق من هاتفى المحمول .

كنت جالسًا على السرير فى غرفتى عندما نظرت إلى شاشة الهاتف . كانت خطيبتى (نيفين) تتصل ..

ـ آلو .

ـ كيف حالك يا حبيبى ؟

أجبت كاتمًا حزنى :

ـ الحمد لله .

لكن يبدو أنها قد لاحظت ..

ـ خيرًا ؟ .. نبرة صوتك تدل على أنك مهموم .. ما الذى حدث ؟

لا أريد أن أشغل بالها وأشاركها مشاكلى .. لذا قلت :

ـ لا شىء يا (نيقين) .

عادت تلح قائلة :

ـ أخبرنى أرجوك يا (سيد) .. لا تدعنى قلقة هكذا .. ما الأمر ؟

هل أخبرها بالحقيقة ؟ .. لِمَ لا ؟ .. ما المانع ؟ .. لو تقبلتها سيكون خيرًا .. لو رفضتها وانزعجت سأعود بالزمن ولا أخبرها بشىء .. وكأن شيئًا لم يكن .

ـ حسنًا .. سأخبرك ..

التقطت نفسًا عميقًا ثم زفرته .. قبل أن أقول :

ـ لقد استقلت من العمل وتقدمت لشركة أخرى .. لكنهم رفضوا تعيينى ـ لذا ـ أنا عاطل عن العمل حاليًا .

فوجئت بها تقول :

ـ هل هذا كل شىء ؟!

ـ نعم .

ـ لا داعي للحزن .. سوف تجد وظيفة أفضل بمرتب أفضل .. إن شاء الله

كان رد فعلها جميلًا .. أعجبني تفاؤلها .. لم أتوقع هذا أبدًا .. هذا يعني لأخبرها بالحقيقة المُرة الصادمة .

ـ أنا لا أحبك يا (نيفين) .

ـ ماذا ؟ .. لم أسمعك جيدًا .

ـ أعرف أنك لا تصدقين ما سمعته ولكنها الحقيقة .. أنا لا أحبك .

سمعت صراخها الهستيري على الجانب الآخر .. ثم صاحت :

ـ ماذا تقول يا ابن الـ (.....) ؟

أمسكت الساعة وقمت بتأخير التوقيت ..

الزمن : قبل خمس عشرة ثانية .

كانت (نيفين) تقول عبر الهاتف :

ـ لا داعي للحزن .. سوف تجد وظيفة أفضل بمرتب أفضل .. إن شاء الله

هذه المرة قلت :

ـ لا ـ لا بد أن أحزن لأنك ستضيعين مني .. أنا إنسان فاشل ـ عاطل ـ لا أصلح أن أكون زوجًا لك .. لا أصلح أن أكون زوجًا لأي واحدة .

أظن أنها ستتقبل هذه الجملة عن حقيقة أني لا أحبها .. لن تتقبل فكرة أني خطبتها مضطرًا لأغيظ خطيبتي السابقة (مي) !

www.riwaya.ga

سأجرب أسبابًا أخرى ومعى الساعة السحرية .. لو سارت الأمور بخير وتقبلت الموضوع سأفسخ الخطوبة فورًا .. أما لو حزنت ورفضت فسخ الخطوبة وأصرّت على الزواج منى فلا مفر من الاستمرار معها .. وسأعود بالزمن لأمحو ما قلته طبعًا وكأنى لم أقله .

كنت أخشى الاعتراف لها طوال الفترة الماضية .. لكن الساعة السحرية شجعتنى الآن .. ما الذى يمكن أن أخسره وكل شىء قابل للتعديل فى الزمن ؟

- ما الذى تقوله يا حبيبى ؟

قلت لها نفس الأسطوانة المعتادة التى أسمعها وأراها فى السينما والواقع :

- أنا لا أستحقك .. أنتِ تستحقين شخصًا أفضل منى .. أنا إنسان سيئ - سيئ للغاية .

- لا تقل هذا عن نفسك .

- لا .. هذه هى الحقيقة .. أنا وغد حقير .. أتعرّف على كثير من الفتيات .. لى مغامرات عاطفية وعلاقات مشينة .. وهناك اعتراف آخر لا بد أن أخبرك به .. لقد اختلست من الشركة ولهذا طردونى .. أنا لص وعاطل وفاشل ..

وقبل أن تستوعب ما سبق .. أضفت :

- ومدمن مخدرات أيضًا .

- أنت تكذب ! .. أنت تقول هذا عن نفسك حتى أكرهك .. أنت لا تحبنى .

- لا .. بل أحبك جدًا .

سمعت بكاءها على الطرف الآخر وهى تقول :

ـ ولماذا تريد فسخ الخطوبة إذن ؟!

ـ لأنى إنسان سيئ للغاية .. ولو عرفتِ حقيقتى لن تستمرى معى لدقيقة واحدة وستندمى على كل يوم عرفتنى فيه .. صدقينى .. هذا الزواج محكوم عليه بالفشل .

ـ لماذا تقول هذا الآن يا كذاب ؟! .. لو أنك لا تحبنى كان من الأفضل أن تخبرنى من البداية .. لقد أحببتك ولم أحب أحدًا غيرك .. أنت أول حب فى حياتى ـ والآن صدمتنى صدمة عمرى .. لا أعرف كيف سأعيش حياتى بعدك .. أرجوك أعد التفكير ـ أخبرنى بعيوبى حتى أحاول إصلاحها .. أرجوك لا تتركنى .. أنا أحبك بجنون .

يا إلهى ! .. يا للملاك البرىء ! .. شعرت بالندم الشديد على ما قلته ـ ربما لا أحبها لكن التفريط فى شخص يحبنى بهذا القدر فهو الجنون ! ـ لا يمكن أن أفرط فيها ـ ربما لا أجد أحدًا يحبنى بقدر حبها لى لو جُبت العالم كله !

أمسكت الساعة السحرية .. سأمحو كل ما قلته من ذاكرتها .. عُدت بالزمن للخلف ..

الزمن : قبل خمس دقائق .

رنة تصدر من هاتفى المحمول .. خطيبتى (نيفين) تتصل ـ لا تعلم أننى أنى استقلت من العمل وصرت عاطلًا .. لن أخبرها .. ولن أفسخ الخطوبة .

ـ آلو .

ـ كيف حالك يا حبيبى ؟

ابتسمت .. قائلًا :

ـ الحمد لله يا حبيبتى .

ـ نبرة صوتك تدل على أنك سعيد .. هل من جديد ؟

ـ لا شىء .

وهكذا عاد كل شىء إلى ما كان عليه ولم تتأثر خطوبتنا إطلاقًا !

* * *

بعد يوم تقريبًا ـ

اتصلت خطيبتى لتقول :

ـ حسنًا ـ كنت أريد أن أخبرك بأمر ما يا (سيد) .

ـ ما هو يا حبيبتى ؟

صدمتنى قائلة :

ـ إن الزواج قسمة ونصيب .. وأنا لا أستطيع أن أخدعك أكثر من هذا .. أنا لا أحبك .. ولم أستطع أن أحبك .. لقد حاولت كثيرًا وفشلت .. لأن قلبى معلق بحب شخص آخر .. كنت أظن أنى نسيته .. لكنى اكتشفت أنى ما زلت أحبه ـ فهو أول حب فى حياتى و...

ـ ماذا تقولين يا بنت الـ (.....) ؟

أنهت الحقيرة المكالمة قبل أن تسمع منى المزيد من السباب اللائق بها .

* * *

(12)

أمر عجيب !

لو كنت صبرت قليلًا لكانت هى فسخت الخطوبة بنفسها كما حدث ! لكنها مارست دور الضحية عندما فسخت أنا الخطوبة .

ربما لم تقبل كرامتها كأنثى أن أفسخ الخطوبة .. فهذا يعنى أنها مرفوضة . وهذا إحساس بغيض !

كانت تريد أن تقوم هى بهذه الخطوة .. لا أنا .. لكنى سبقتها فى المرة الأولى وجرح هذا مشاعرها .. أو ربما كانت تتظاهر بالحزن حتى تمنحنى الإحساس بالذنب لأنى كسرت قلبها .. وأقضى عمرى أعانى من تأنيب الضمير وطلب السماح والغفران .. لكنها كانت بالتأكيد تريد الفسخ أيضًا .. وربما كانت ستنتظر يومين بعد اعترافى .. لتفسخ هى الخطوبة بنفسها .

ظللت أفكر فى الأمر كثيرًا .. وكنت أريد الانتقام منها بأى طريقة . نظرت للساعة السحرية .. وتأملت الأزرار الأخرى .. لا بد أنها تخص الأيام أو الشهور . لأن هناك خانة على السطح لهذا اليوم (22) .. وخانة أخرى لهذا الشهر (ديسمبر) .. داعبت الزر بحذر .

وانتقلت بالزمن .

الزمن : قبل شهر .

وجدت نفسى فجأة أجلس مرتديًا بدلة سوداء أنيقة بجوار خطيبتى (نيفين)

فستانها الأزرق الجميل .. والأهل والأقارب والأصدقاء حولنا يباركون .. والعرايس تنطلق فى المكان .. تذكرت الآن أن يوم 22 نوفمبر كان يوم حفل الخطوبة فى منزلها ..

همست فى أذنها :

ـ هل تحبيننى ؟

ضحكت وقالت برقة مصطنعة :

ـ طبعًا .. هل هذا سؤال ؟!

أعطتنى كأس الشربات من يدها .. وشربت .. وحان الدور لتشرب هى من كأسى .

قذفت ما بالكأس فى وجهها .. ولوث الشربات الأحمر فستانها الأزرق الجميل .

كان مشهدًا مريحًا للأعصاب حقًا ! .. انتقام صغير من خداعها لى طوال فترة الخطوبة .

فى المرة الأولى منذ شهر عندما كنت فى هذا المكان وفى تلك اللحظة كنت سعيدًا مخدوعًا .. لكن الآن أنا أعرف الحقيقة الموجعة المؤلمة !

كانت (نيفين) فى صدمة كبيرة .. لم تتوقع أن أفعل هذا .. لقد ظنت فى البداية أنه حدث دون قصد منى .. لكنها فوجئت بى أصيح قائلًا :

ـ أيتها الحقيرة الغشاشة المخادعة ! .. تدّعين كذبًا أنكِ تحبيننى .. ولكنكِ تحبين شخصًا آخر غيرى .. حُبك الأول .. أين هو ؟ .. هل حضر ؟

ونظرت حولى فى المكان أفتش عن حبها الأول الذى لا أعرف شكله ! - كان الكل ينظر لى بكراهية شديدة ومقت شنيع .. أما أبى كان فى قمة الخجل والخزى .. ولا يدرى ماذا يقول ! ويحاول إخفاء عينيه .. لا بد أنه يلعن اليوم الذى أنجبنى فيه .. وربما لو كانت المرحومة أمى على قيد الحياة بيننا لوبخها وعنفها ولامها على تربيتها السيئة لى التى وضعته فى هذا الموقف المحرج الآن !

اندفع أبوها نحوى وبدا أنه سيفتك بى .. وكان خلفه أخوها (أدهم) .. بطل مصر فى رفع الأثقال .. سيحملنى كما تحمل عصفورة رقيقة بأصابعك .

أمسكت الساعة بسرعة لأنقذ نفسى من هذا الموقف العصيب قبل فوات الأوان .

الزمن : قبل أسبوع .

وجدت نفسى فجأة جالسًا مع خطيبتى (نيفين) فى كازينو (روز) المطل على النيل .. قالت وهى تشرب عصير الأناناس :

ـ هاه .. ما رأيك ؟

لقد عُدت بالزمن فى نهاية الجملة .. لا أعرف ماذا كانت تقول ـ وتسألنى عن رأيى فيه .. سألتها بسذاجة :

ـ رأيى فى ماذا ؟

قالت غاضبة :

ـ رأيك فيما قلته ؟ .. ألم تكن تستمع لى ؟ .. ألم تكن منتبهًا لى ؟

يبدو أنى مضطر للعودة بالزمن لأعرف بداية جملتها .

الزمن : قبل عشرين ثانية .

كانت (نيفين) تقول :

ـ .. ولهذا أنا معترضة على الموضوع الأول .. أما بالنسبة للموضوع الثانى .. مكان الحفل ـ ماما تقترح أن يكون الحفل بسيطًا .. فى الشقة عندنا .. هاه .. ما رأيك ؟

هززت رأسى بالموافقة على الموضوع الثانى .. لكنى لا أعلم ما هو الموضوع الأول ! ولا أعلم سبب اعتراضها عليه .. لكن لا يهم ـ لا يستحق الأمر العودة مرة أخرى بالزمن من أجل معرفته ! .. قالت بفرح :

ـ أنا سعيدة جدًا أن خطوبتنا بعد أسبوع ـ يا أول وأجمل وأحلى حب فى حياتى .

رن هاتفها المحمول فجأة .. نظرت (نيفين) للاسم .. سألتها :

ـ من المتصل ؟

ـ لا أحد ـ رقم غريب .. وأنا لا أرد على الأرقام الغريبة .

كيف لم أنتبه لهذا فى ذلك الحين ؟! .. كان الاسم موجودًا .. اسم سجلته بنفسها وليس رقمًا غريبًا كما قالت .. من هو صاحب هذا الاسم ؟! ـ لا بد أنه هو حبها الأول .

تظاهرت بأنى ذاهب إلى دورة المياه .. واختبأت فى مكان قريب ـ رأيتها تمسك هاتفها وتتلفت حولها ثم تتصل ..

ـ (زين) .. ألم أطلب منك مرارًا ألا تتصل بى على هذا الهاتف ؟ .. ماذا لو
أن خطيبى شاهد اسمك وعرف أنك تتصل بى ؟ .. لا ـ لن أنتظر أكثر من ذلك
لقد انتظرتك طويلًا .. وأنت لا تفى بوعودك .. متى ستعود ؟ ـ أخبرنى ـ حسنًا
سأنتظرك .. لكن لو تأخرت سوف أتزوجه هو .

الخائنة الحقيرة ! .. كانت تضعنى فى خانة الاحتياطى حتى عودة حبيب
القلب .

عُدت إلى مقعدى .. وجلست أمامها .. حاولت الابتسام ـ سألتها :

ـ رأيتك تتحدثين فى الهاتف المحمول .. مع من كنتِ تتحدثين ؟

ـ ماما ...

لم أعرف أن ماما اسمها (زين) !

أكملت قائلة :

ـ إنها تلقى عليك التحية وتدعوك للغداء معنا .. المحشى فى انتظارك
يا بطل .

سألتها بفضول شديد واهتمام مريب :

ـ هل تتذكرين متى تقابلنا أول مرة ؟

نظرت للسماء فى شرود وقالت :

ـ نعم يا (سيد) .. أتذكر ذلك جيدًا .. منذ خمسة أيام ـ وقت العصر
كنت عائدة من الجامعة فاصطدمت بى فوقعت على الأرض وسقطت الكب

منى ـ ساعدتنى على النهوض وجمعت لى الكتب وحملتها بدلًا منى وصممت على أن تدفع أجرة التاكسى الذى وصلنى إلى المنزل ثم ..

قاطعتها قائلًا :

ـ هل تتذكرين كم كانت الساعة بالضبط ؟

ـ امممم .. لا .. لا أتذكر .. لِمَ السؤال ؟ .. لماذا تنظر إلى ساعتك ؟

عُدت بالزمن ..

الزمن : قبل خمسة أيام .. وقت العصر .

وجدت نفسى داخل سيارة تاكسى .. جالسًا بجوار (نيفين) التى كانت تنظر من النافذة المجاورة لها وتشير بإصبعها قائلة :

ـ هذا هو بيتى .. لقد وصلنا .. شكرًا جزيلًا على اهتمامك .. هل تريد أن تتفضل عندنا ؟ .. وأعرّفك على أخى (أدهم) الذى حدثتك عنه ؟ .. بطل مصر فى رفع الـ .. آآآ .. لماذا تنظر فى الساعة ؟ .. هل لديك موعد ؟

كنت أقوم بتأخير التوقيت .

الزمن : قبل ربع ساعة ..

فجأة اصطدمت بـ (نيفين) أثناء سيرى فى الطريق .. سقطت على الأرض وبجوارها الكتب .. بينما احتفظت بتوازنى حتى لا أسقط فوقها .

انحنيت لأجمع كتبها .. فمدت يدها لى لأساعدها على النهوض ..

لكنها فوجئت بتصرف غريب جدًا منى .. لم أمد يدى لمساعدتها .. بل تركتها كما هى .. وألقيت الكتب عليها .. وركلتها فى ساقها قائلًا :

ـ يا خائنة .. ليتنى ما عرفتك ! .. يا حقيرة .. يا حبيبة (زين) .

نظرت لى فى منتهى الحيرة .. لا تفهم شيئًا ! .. صاحت :

ـ يا مجنون .. ما الذى فعلته ؟!

سرت فى طريقى بهدوء شديد وقد انتقمت لكرامتى .. ومحوت قصة حب (السيد) و(نيفين) للأبد .. من الجذور .. من البداية !

ستنسى (نيفين) هذا الموقف وتعود لمنزلها .. ربما تحكى ما حدث لحبيبها (زين) .. ربما يظن أنى أحد أعدائه أو مجنون آخر من مجانين الشوارع .. وتستمر قصة حب (نيفين) و(زين) .. أو ربما تجد مغفلًا آخر بدلًا من (السيد) لتضحك عليه !

« ما هذا الذى فعلته بهذه الأنسة ؟ »

قالها شاب .. يبدو أنه قد شاهد ما فعلته مع (نيفين) .. ثم انضم إليه شابان آخران ليسألانى نفس السؤال تقريبًا .. يبدو أنهما صديقيه .. وقد سبقهما ليمسكنى بعنف .

ليس لدى وقت لهذا الهراء يا فتى ! .. لدى مستقبل كامل لأبنيه من جديد .. وخطة لتعديل مسارى فى الحياة !

أمسكت الساعة لأهرب من هذا المكان والزمان .. وقد سارعت (نيفين) الخطى نحونا وقد أسعدها أنهم قد استوقفونى وما زالت مستمرة فى السباب .

فجأة خطف أحد الشباب الساعة من يدى !

★ ★ ★

(13)

كنت أستعد لتغيير الزمن عندما لاحظ أحد الشباب اهتمامى الشديد بالساعة فظن أنها غالية فسرقها منى ..

اندفعت (نيفين) ناحيتى لتكيل لى باللكمات والركلات .. ثم رفعت يدها لأعلى لتصفعنى لكن منعها أحد الشباب الثلاثة قائلًا :

- لا تلوثى يدك بهذا الحيوان .. سنتصرف نحن معه ونقوم بالواجب .

هدأت (نيفين) قليلًا واكتفت بالبصق ناحيتى .

سألها أحدهم قائلًا :

- هل تعرفينه ؟

- لا .. لم أره من قبل .

- هل سرق منكِ شيئًا ؟

- لقد تحرش بى وحاول سرقة هاتفى وحقيبتى وعندما لم يستطع دفعنى أرضًا وركلنى كما رأيتم .

يا إلهى ! كل هذه التهم الملفقة ! تحرش ومحاولة سرقة .. لا بد أن أحصل على الساعة بسرعة قبل أن تتهمنى بمحاولة اغتصابها وقتلها وبيع أعضائها !

أكملت (نيفين) قائلة :

- يبدو أنه يعرفنى جيدًا .. لأنه ذكر اسم خطيبى (زين) .

خطيبك ! هل تكذب ؟ أم إنه كان خطيبها فى تلك الساعة وفسخت خطوبتها من أجلى ؟

قال أحدهم :

ـ حسنًا .. اطمئنى .. سنقوم بعمل اللازم معه وأكثر .. هل تريدين أن نوصلك ؟

ـ لا .. شكرًا .

ـ هل تريدين أى خدمة ؟

ـ شكرًا جزيلًا .. لقد أنقذتمونى من هذا الوحش .. لا أعرف ما الذى كان ينوى فعله !

ثم تركتنا واستوقفت تاكسى وركبته عائدة إلى منزلها .. أما أنا فقلت :

ـ أعتذر عما حدث .. من فضلك أعطنى ساعتى وسأرحل فى هدوء .

قال أحد الشباب الثلاثة :

ـ لا .. لن نتركك قبل أن تنال جزاءك .

ـ حسنًا .. أعطنى ساعتى وسأذهب معكم إلى قسم الشرطة .

ـ لا .. لا نحتاج إلى الشرطة .

ـ حسنًا .. أعطنى الساعة وافعلوا ما بدا لكم بعدها .

ـ لا .. لن ترى هذه الساعة أبدًا .

وانهالت اللكمات على وجهى .

★ ★ ★

أخذونى إلى شارع جانبى ضيق .. لا يمر منه أحد ..

عرفت أنهم ثلاثة لصوص .. وأنا الذى ظننت أنهم شباب شهم ! .. لقد أزاحوا الفتاة بعيدًا ليستطيعوا سرقتى على انفراد .. ولهذا لم يسلمونى للشرطة .

عرفت أسماءهم أثناء الضرب المبرح .. كانوا (سمير) و (متولى) و (صبحى)(*) .

قال (سمير) .. ذلك اللص الذى سرق الساعة :

ـ أعطنا كل الأموال التى لديك .

ـ حسنًا .. سأعطيكم كل المال الذى معى .. لكن أعطونى الساعة .

قال (صبحى) :

ـ لماذا أنت مهتم بهذه الساعة هكذا ؟ .. لا بد أنها غالية جدًا ! أغلى من الأموال التى ستعطيها لنا ؟

ـ لا .. أبدًا .. إنها فقط هدية غالية من إنسان غالى .. لهذا هى تمثل قيمة لا يمكن تعويضها بأى ثمن .

قال (متولى) ليغيظنى :

ـ وأنت لن تحصل عليها أبدًا .. جزاء ما فعلته بالفتاة .. والآن أعطنا كل ما معك .

قلت له وقد نفدت جميع الحيل منى :

ـ سأعطيك كل ما أملك مقابل الساعة .. أما إذا لم تعطها لى فلن تأخذ شيئًا .

(*) راجع الفصل (٣٥) من رواية (لعنة الخواتم) .

ابتسم (سمير) قائلًا :

ـ لن أعطيك الساعة .. وسوف تعطينا كل ما تملكه .. وإلا ..

ثم أخرج مدية حادة من جيبه وشهرها فى وجهى مهددًا .. أخرجت ما فى جيبى كله مستسلمًا .. ثم قلت :

ـ والآن .. أعطونى الساعة .. لقد أخذتم كل ما أملكه .

لكنهم رفضوا .. هنا انفجرت من الغضب .. واتجهت نحوه بكل قوة وانتزعت منه الساعة ..

وفجأة ..

شعرت بألم رهيب فى بطنى .. لقد طعننى (سمير) بالمدية الحادة وسال الدم منى ..

قال (متولى) بقلق :

ـ ما هذا الذى فعلته ؟ .. لقد اتفقنا على السرقة فقط .. لا نقتل .

قال (سمير) لصديقه مدافعًا عن نفسه :

ـ لم أرد قتله .. هو الذى دفعنى لذلك .. ألم تره ؟ .. لقد هجم علىّ وسرق الساعة .

كنت أتألم وأنا أرى الدم يسيل منى بغزارة .. ثم رأيت (صبحى) يأخذ الساعة منى قائلًا :

ـ أتفعل كل هذا من أجل ساعة ؟ .. لا بد أنها غالية حقًا !

لم أستطع مقاومته .. الألم أضعفنى .. لذا لجأت إلى الحيلة قائلًا :

ـ أقسم لكم .. ليس لها أى ثمن سوى عندى فقط .. إنها هدية من المرحومة أمى .

كنت أخشى أن يستخدموها .. فيعودوا للزمن الماضى ولا أعرف عنهم شيئًا .. وأبقى هنا محبوسًا فى هذا المكان والزمان أصارع الموت .. قال (سمير) ساخرًا :

ـ سنقابلها قريبًا .

وتركونى ملقى على الأرض .. أشعر بالروح تنسحب منى ببطء .. سأكون مجرد جثة أخرى مجهولة الهوية مطعونة بمدية حادة .. استولى اللصوص على أموالها وفروا هاربين ! .. أهكذا ستكون نهايتى .. خبرًا فى صفحة الحوادث ؟!

لم يحدث هذا لى فى ذلك اليوم ! .. بل كان من أجمل أيام عمرى .. لأنى التقيت فيه بـ (نيفين) وتعرفت فيه على أسرتها .. وطرق الحب بابى من جديد بعد فسخ خطوبتى من (مى) .

لم يكن هناك لصوص ولا موت !

هذا لأنى غيرت أحداث الزمن .. لم أركب مع (نيفين) التاكسى إلى منزلها .. فحدثت أشياء أخرى !

أهذه هى نهايتى حقًا ؟

يا للسخرية ! .. عُدت للزمن الماضى لأموت فيه ؟!

* * *

(14)

صحت بصوت عالٍ بكل قوة تبقت لدى :

ـ يا (سااااميييررررر)

عاد (سمير) بسرعة إلىّ .. وقال ملوحًا بالمدية :

ـ إياك أن تنطق باسمى .. أفهمت ؟ .. لماذا لا تموت فى هدوء ؟

قال (صبحى) وقد لحق به :

ـ يا إلهى ! .. إنه يعرف أسماءنا نحن الثلاثة .. كيف لم ننتبه لهذا ؟! .. لو ظل على قيد الحياة سوف يقول أسماءنا لأول واحد يجده .

قال (منولى) :

ـ أقترح أن ننتظر حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة ونتأكد من موته .

أما (سمير) فقد قال :

ـ وماذا لو رآنا أحد ونحن واقفون بجواره ؟ .. هذا دليل أقوى من ذكره لأسمائنا .. أقترح أن نجهز عليه ونتأكد من موته .. ونهرب من هنا بسرعة .

ورفع المدية ليطعننى بها مجددًا .. استوقفته قائلًا :

ـ أرجوكم .. إذا كنتم ستقتلوننى فأرجو أن تنفذوا لى مطلبى الأخير .

قال (صبحى) وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة :

ـ وما هو ؟ .. إياك أن تقول الساعة !

- نعم .. الساعة .. أريد أن ألقى عليها النظرة الأخيرة .. أريد أن تكون هى الشىء أمسكه فى هذه الدنيا .. وفى جميع الحالات ستأخذونها منى .. سواء أعطيتها لكم أو أخذتموها من جثتى .

أفهمهم بالمنطق وأمنية الموت الأخيرة .. قال (متولى) :

- حسنًا .. أعطها له يا (سمير) .. إنه ميت تقريبًا .. لا قلق منه .. دعنا ننتهى من هذا الأمر .

قال (سمير) وهو يعطينى الساعة :

- ها هى ساعتك .. احتفظ بها فى لحظاتك الأخيرة .. أتهدر حياتك من أجل ساعة ؟! يا لك من غبى !

أمسكت الساعة واجتاحتنى سعادة لا نظير لها .. وقد اندهشوا جميعًا من تغير تعبيرات وجهى المفاجئ وكأن روحى قد رُدت إلىّ .. قلت له هامسًا :

- سنرى من الغبى الآن !

ولُذت بالزمن ..

* * *

الزمن : قبل عشر دقائق ..

استطعت بـ (نيفين) فجأة .. سقطت على الأرض وبجوارها الكتب - مددت يدى لها لأساعدها على النهوض .. وقفت وراحت تنفض ملابسها - نظرت حولى .. رأيت اللصوص الثلاثة يسيرون من بعيد متجهين نحونا -

لا ـ لن أتصرف بوحشية مع (نيفين) حتى لا يرونى ويفتكوا بى ولكن مأساة قتلى ـ الحمد لله أننى أفلت من قبضتهم ونجوت بمعجزة سحرية .

انحنيت وجمعت كتب (نيفين) وأعطيتها لها ـ حتى لا يظن اللصوص الثلاثة أنى متحرش أو لص مثلهم !

قالت بمودة :

ـ شكرًا يا ...

ـ (السيد) .. اسمى (السيد) .

ـ أهلًا وسهلًا ـ وأنا (نيفين) .

اقترب الشباب الثلاثة منا ـ كانوا يدردشون فى شىء ما لا أستطيع سماعه لكنهم غير مهتمين بنا على الإطلاق وكأننا لسنا موجودين ـ والحمد لله .

لا مانع من قليل من الدردشة مع الفتاة حتى يمر اللصوص بسلام ويمر هذا اليوم على خير .. تأملت الكتب وسألتها بأدب :

ـ حضرتك تدرسين فى الجامعة ؟

أجابت سؤالى وأنا غير مهتم بما تقوله أبدًا لأنى أعرف الإجابة ـ كنت مشغولًا بتتبع خط سير اللصوص .. لقد ابتعدوا عنا .

ـ هل يمكن أن أسأل حضرتك سؤالًا خاصًا ؟

نظرت لى مندهشة من السؤال ثم قالت :

ـ اسأل .

ـ هل أنت مخطوبة ؟ .. مرتبطة ؟

ظهر على (نيفين) بعض الارتباك الأنثوى من جراء السؤال .. كأن السؤال
يعنى (أحبك وأريد أن أتزوجك على سنة الله ورسوله فهل هذا ممكن ؟) ..
وظهر الخجل عليها أو تصنعت الخجل وأزاحت خصلة من شعرها كانت قد
سقطت على عينيها :

- لا .. لست مرتبطة .

صدمتها بقولى :

- إذن من هو (زين) ؟!

وانقلب الخجل إلى غضب وقالت :

- (زين) ! .. إذن أنت تعرف (زين) ؟ .. هل هو الذى أرسلك ؟ .. هذا
يعنى أنك قد اصطدمت بى متعمدًا ! .. هل يظن أنى سأخاف من تهديداته ؟ ..
أخبره أنه لا يهمنى .. والأشياء التى بحوزته لن تخيفنى أبدًا .. وأخبره أيضًا أنى
لن أنتظره أكثر من ذلك وسأتزوج أول شخص أقابله .

أول شخص تقابله ! .. هذا يعنى أنها تزوجتنى لتغيظ (زين) حبها الأول .

كان صوتها عاليًا مما دفع الشباب للرجوع إلينا وسؤالها :

- هل هذا الشاب يضايقك يا آنسة ؟

أجابتهم بانكسار أنثى ثعلب :

- نعم .. لقد عاكسنى وتحرش بى وحاول سرقة هاتفى وحقيبتى .

واصلت تكيل الكلمات لى ورفعت يدها لتصفعنى ومنعها (سمير) قائلًا :

- لا تلوثى يدك بهذا الحيوان .. سنتصرف نحن معه ونقوم بالواجب .

إن الزمن يعيد نفسه بشكل أو بآخر .. وسيسرق (سمير) الساعة بعد قليل .. لا بد أن أنتقل بالزمن بسرعة .

* * *

الزمن : قبل خمس دقائق ..

وجدت نفسى أقف أمام (نيفين) وأحمل كتبها .. كانت تنفض ملابسها قبل أن تأخذ الكتب منى قائلة بمودة :

ـ شكرًا يا ...

ـ (سامح) .. اسمى (سامح) .

ليس مهمًا أن أقول اسمى الحقيقى هذه المرة .. طالما أنى لن أعطيها مجددًا !

ـ أهلًا وسهلًا .. وأنا (نيفين) .

أشرت إلى تاكسى .. توقف لنا .. ركبت وحدها .. ودّعتها بابتسامة هادئة .

لقد تعلمت الدرس :

* الحلول السلمية هى الأفضل .. طالما أن الانتقام سيكون فيه هلاكى على يد (سمير) !

اقترب الشباب الثلاثة منى .. كنت مطمئنًا للغاية .. لم أفعل أمامهم أى شىء شنيع مع أى أنثى لذا سيمرون بسلام كما مروا من قبل .

لكنى فوجئت باللصوص الثلاثة يتهامسون وينظرون حولهم فى شك وريبة لم أنبها المكان ـ ويتأكدوا أنه لا أحد يتابعهم ـ و(سمير) يقترب منى قائلاً :

ـ أعطنا كل الأموال التى لديك يا (روميو) .

يا إلهى !.. أتعرض للسرقة مرة أخرى .. ولكن هذه المرة دون تدخل (نيفين) !.. يبدو أنه لا مفر من الركوب معها فى التاكسى !.. هذا أفضل الحلول الممكنة !

يبدو أنها أنقذت حياتى ـ أو على الأقل أموالى ـ عندما ركبت معها التاكسى فى ذلك اليوم ! .. لم أكن أعلم هذا .

* * *

الزمن : قبل ثلاث دقائق ..

(نيفين) على الأرض وبجوارها كتبها .. جمعتها لها بسرعة وساعدتها على النهوض ـ قالت بمودة :

ـ شكرًا يا ...

ـ (هريدى) ـ اسمى (هريدى) .

تعجبت من الاسم .. وسألتنى :

ـ هل أنت من الصعيد ؟

رأيت اللصوص الثلاثة .. كانوا يقتربون وينظرون نحونا ـ قلت لها :

ـ سنتم التعارف فى التاكسى .. أين تسكنين ؟ ـ ربما كان طريقنا واحدًا ـ

رأيت فى عينيها بعض القلق منى .. أما أنا فكنت مشغولاً بالتلويح للتاكسى لأركب معها قبل فوات الأوان .. كان نفس السائق ونفس السيارة التى ركبت فيها فى المرات السابقة .. لذا شعرت بالراحة وأن الزمن عاد لمساره .

نظرت من نافذة السيارة .. كان اللصوص الثلاثة مستمرين فى سيرهم وفى بشغلهم شخصى المتواضع فى أى شىء .

سألتنى (نيفين) :

ـ هل هذا اختطاف ؟!

* * *

(15)

سألتها مندهشًا :

ـ ماذا ؟

أجابت (نيفين) بذكاء أنثوى :

ـ نعم .. أوقفت التاكسى فجأة .. دون أن تسألنى .. ثم ركبت معى .. هل هذا السائق شريك معك فى جريمة اختطافى ؟!

يا إلهى ! ما الذى يحدث ؟ هل تنوى (نيفين) أن تقحمنى فى مشكلة جديدة ؟

قال السائق مدافعًا عن نفسه :

ـ ما هذا يا آنسة ؟! .. أنا لا أعرفكما .. لقد لوّح الأستاذ لى فأوقفت السيارة .. لا أعرفك ولا أعرفه .. لو أن بينكما مشاكل فأنا لا دخل لى بها ..

لم تهتم (نيفين) بما قاله السائق وقالت :

ـ اعلم جيدًا يا هذا .. أن أخى (أدهم) بطل مصر فى رفع الأثقال .. وزوجى (زين) يمكن أن ..

قاطعتها قائلًا بدهشة كبيرة :

ـ زوجك ؟!

ـ نعم .

ـ هل أنتِ متزوجة ؟!

ظهر عليها بعض التردد قبل أن تجيب حاسمة :

ـ نعم .

ربما تكذب حتى تتخلص منى .. تظن أنى أختطفها ! لن أعلم الحقيقة أبدًا !

قلت لها مبتسمًا فى غيظ :

ـ أتعلمين ؟! .. أنا غبى .. غبى جدًا .. لماذا أنتقل لمدة دقائق للوراء وأ بإمكانى الانتقال لأسابيع وشهور ؟ .. وعندما يأتى ذلك اليوم فى المستقبل أمر من هذا الطريق أبدًا حتى لا أصدمك وأسقط كتبك ولا أقابل (سمير) وعصابته ! .. ربما أجلس فى بيتى سالمًا عندما يأتى هذا اليوم ـ حتى ينتهى ويمر بأمان .

نظرت لى قائلة بمنتهى الحيرة :

ـ لا أفهم شيئًا .. ما الذى تقوله ؟! .. هل تتظاهر بالجنون وأنك ..

لم أسمع باقى جملتها فقد كنت أمسك بزر الشهور وأحركه .

الزمن : قبل شهر ..

وجدت نفسى جالسًا مع خطيبتى الأولى (مى) فى منزلها ـ كانت تقول

ـ كل ما بيننا انتهى .. أنا سأظل على هذا الحال ولن أتغير .

تذكرت ما حدث فى ذلك اليوم .. هذا هو يوم فسخ الخطوبة .. وبعد شهور

من الآن سأعلم بخبر خطوبتها ، فأقرر أن أخطب (نيفين) لأغيظ (مى) وأثبت لها ولنفسى أنى نسيتها .

دخلت (مى) إحدى الغرف وأحضرت حقيبة بها الهدايا وعلبة بها المصوغات الذهبية التى اشتريتها وأى شىء آخر يتعلق بى أو يمكن أن يذكرها بى .

قلت محاولاً تهدئة الأمور وعلاج الجراح :

ـ أعطنى فرصة ثانية .

هزت رأسها نفيًا .. نظرت إلى أبيها وأمها وجدها وخالتها .. لم ينطق أحدهم بكلمة ـ من الواضح أن القرار محسوم .. لقد استدعونى فقط لإبلاغى بقرار فسخ الخطوبة واستلام أشيائى !

كانت الساعة فى يدى .. سأعطى لنفسى هذه الفرصة الثانية .

سأتزوج (مى) وأنسى (نيفين) للأبد .. (نيفين) التى خطبتها فقط لأغيظ (مى) .

إن الحياة تبتسم من جديد ..

الزمن : قبل يوم ..

عُدت بالزمن إلى ذلك اللقاء الذى سبق فسخ الخطوبة والذى كان بمثابة القشة التى قصمت ظهر (مى) .. كنا جالسين فى المطعم نتناول الكشرى المصرى ـ قالت قبل أن تضع الملعقة فى فمها :

ـ ما المانع فى أن يوصلنى (إبراهيم) بسيارته ؟ إنه زميلى فى العمل ـ أنت تغير جدًا !

تذكرت تلك المحادثة .. أخبرتني أنها كانت خارجة من العمل عندما عرض عليها زميلها أن يوصلها إلى المنزل .. فاستشطت غضبًا لقبولها العرض .. فتضايقت هي من غيرتي الشديدة وفسخت الخطوبة بعد ذلك .

قالت وهي تمضغ الطعام :

ـ أنا لا أرى عيبًا في ذلك .. ولو كنت أرى عيبًا أو خطأ في ذلك لما أخبرتك .. وطالما أني أخبرتك فهذا يعني حسن نيتي وتصرفي السليم ـ بالعكس .. أنا أرى أن الرفض هو قلة ذوق .. هذا زميل يعرض خدمة على زميلة له .. وأظن أن هذا أفضل من الوقوف في الشارع منتظرة الأتوبيس أو التاكسي والتعرض لمضايقات الشباب في الشارع أو الأتوبيس !

أتذكر أنني هنا قلت كلامًا من نوعية (عدم إدراكك للخطأ لا يعني أنه ليس خطأ) و .. (تحرش الشباب في الأتوبيس أسوأ من ركوبك معه في سيارته ليس عذرًا) و.. (فلتستقيلي من العمل أفضل) .

لكني لن أقول هذا الكلام الآن .. لقد تعلمت الدرس :

الغيرة دليل على الحب .. ولكنها تتسبب في فسخ الخطوبة أحيانًا ـ خاصة مع (مي) .

سوف أعطي فرصة ثانية لقصة حب (السيد) و (مي) ..

ـ كلامك صحيح .

قلتها .. فتوقفت يد (مي) في منتصف الطريق إلى فمها ـ لم تصدق ما سمعته فسألتني مندهشة :

ـ ماذا ؟!

ـ أقول إن .. كلامك .. صحيح .

ـ فى أى جملة بالضبط تقصد ؟

ـ كل كلامك صحيح .

كانت مندهشة من هذا التغير المفاجئ ..

راحت تشرح مجددًا وجهة نظرها .. كنت أهز رأسى علامة على التأييد .. تبسمت وراحت التكشيرة للأبد .. كانت سعيدة لأننى أوافقها على كل ما تقوله ..

ومرت الساعات ..

ومر اليوم التالى بسلام .. ذلك اليوم الذى فسخت فيه (مى) الخطوبة فى الزمن الماضى .. لم يحدث أى شىء ولم أسمع أى جملة من نوعية (كل ما بيننا انتهى ـ أنا سأظل على هذا الحال ولن أتغير) .. بل قالت جملة أخرى (أنا سعيدة لأنك تفهمت ما حدث .. أنت إنسان جميل) .. وخرجت من منزلها بدون أى هدايا أو ذهب ولم أشاهد جدها أو خالتها فى هذا اليوم ـ لكن ..

تكررت مواقف مشابهة .. مثلًا يتصل (إبراهيم) بها فتتركنى وتتحدث معه على الهاتف بهمس .. مثلًا يحضر لها (إبراهيم) هدية غالية بدون مناسبة .. حاولت بقدر الإمكان أن أبدو باردًا حتى تستمر الخطوبة .. لأنى عرفت فيما بعد أنى لن أنساها أبدًا مهما حاولت ! وأن خطوبتى من (نيفين) لم تكن وسيلة للانتقام منها .. بل اكتشفت بمرور الوقت أنى أنتقم من نفسى بهذه الطريقة ! لذا سأحاول أن أطيعها فى كل شىء حتى لا تفكر أبدًا فى فسخ الخطوبة .

(مى) تا تعيش ـ تا تعيش .. تعيش تعيش تعيش .

★ ★ ★

بعد أسبوعين ـ كنا نجلس فى مطعم شهير يقدم وجبات الدجاج السا
عندما أخبرتنى أنها زارت زميلها (إبراهيم) فى منزله .. لأنه كان مريضًا ول
يحضر للعمل .

كنت أعلم أن (إبراهيم) عازب .. فسألتها بحسن نية :

ـ كان معك زميلاتك وصديقاتك ؟

ـ لا .. كنت وحدى .

تمالكت أعصابى لأقصى درجة .. ليس لأننا فى مطعم شهير ولا أريد عمل
ضجة فى المكان .. لكن لأننى عاهدت نفسى ألا أغضب (مى) أبدًا . قلت
بهدوء مصطنع :

ـ وهل من العادى أو المقبول أن تزورى شخصًا عازبًا فى منزله .

ـ لا .. ولكنى ظننت أنى سأجد الزملاء هناك .. فاكتشفت أنهم انصرفوا قبل
وصولى .

ـ وعندما اكتشفتِ أنهم قد غادروا قبل وصولك .. هل دخلت ؟

كانت تلتهم الدجاج عندما قالت :

ـ نعم .. كان معى هدية ولا بد أن أسلمها له .. لقد أهدانى هدية يومًا ما
ولا بد أن أرد الهدية .

www.riwaya.ga

- كان يمكنك أن تسلميها له عند الباب .

- هل أنت غاضب مما فعلته ؟ .. ألا تثق فى ؟

حاولت خفض صوتى وأيضًا خفض توترى وعصبيتى .. وقلت :

- أثق فيكِ يا حبيبتى .

ابتسمت لجملتى لكنى تابعت قائلًا :

- لكنى لا أثق به .

- إنه كان مريضًا .

- نعم .. ومن قال إن المرض سيمنعه من فعل أى شىء ؟ .. وربما لم يكن مريضًا أصلًا .. ثانيًا : هذا سيعطيه فكرة سيئة عنكِ .

- ماذا تقصد ؟

- سيظن أنك فتاة متحررة تزورين العزاب فى منازلهم وأن هذا عادى جدًا فى ثقافتك ويتماشى مع تفكيرك وعقليتك .. وربما يتمادى فى التصرفات معك بناء على ما حدث .. بالإضافة إلى احتمال أن يخبر الزملاء أنكِ فعلت ذلك .. وربما يتعارضوا بعد ذلك لتزوريهم !

- ما كل هذا الخيال الواسع ! وهل تظن أننى سأكرر هذا ؟ .. هل لشك فى؟

تعرت أن الموقف يتكرر .. يبدو أنى سأستلم الهدايا والذهب غدًا .

قلت لها محاولاً تغيير الموضوع :

ـ ما رأيك فى الوجبة ؟ ألم يكن الكباب أفضل من الدجاج ؟

نسيت (مى) الموضوع وأجابت سؤالى بابتسامة هادئة .. واستكملنا تناول الطعام ـ متى أتزوجك يا عزيزتى لأنتهى من حرب الأعصاب هذه ؟! .. ثم نظرت خلفى ـ رأيت واحدة لم أتوقع رؤيتها أبدًا .

* * *

(16)

كانت (نيفين) تجلس خلفى .. مع رجل ما .. لم أره من قبل طوال فترة خطوبتنا .

ربما كان هذا هو (زين) .

طبعًا هى لا تعرفنى الآن .. المفروض أن أقابلها بعد أسبوعين من الآن .. وتبدأ جلسات التعارف والتقدم لخطبتها ثم الخطوبة .. إلخ .

والمفروض أننى لم أكن لأراها هنا .. لأننى فى هذا اليوم كنت أجلس فى منزلى حزينًا بسبب فسخ خطوبتى من (مى) .

حاولت أن أسترق السمع .. كانت تناديه باسم (زين) .. إذن تخمينى كان صحيحًا .

هذا هو حبها الأول !

تأملت ملامحه .. ما الذى يعجبها فيه ؟!

« هل تُعجبك ؟ »

فلأنها (مى) بغيرة شديدة واضحة .. فتعجبت من سؤالها :

- من ؟

أشارت بيدها التى تمسك الشوكة إلى (نيفين) وقالت :

- أراك تحملق فيها وتركت أكلك !

ـ لا .. لم أكن أنظر لها .. بل كنت أنظر له .

اندهشت قائلة :

ـ ماذا ؟ هل يعجبك ؟

هززت رأسى نفيًا بشدة وقلت :

ـ لا لا .. الموضوع مختلف .

ثم بحثت عن حجة منطقية فقلت :

ـ كنت أظنه شخصًا آخر أعرفه .. لكن اتضح أنه ليس هو .

فى اليوم التالى فوجئت باتصال من أبيها .. ذهبت إلى المنزل ـ وجدت جدها وخالتها هناك أيضًا .. ما الأمر ؟!

قالت (مى) وهى تعطينى حقيبة الذهب والهدايا :

ـ كل ما بيننا انتهى .. الزواج قسمة ونصيب .

ـ ما الذى حدث ؟! .. أنا لم أغضبك فى أى شىء .

قال أبوها :

ـ وهذه هى المشكلة يا ولدى ! .. كيف توافق على ذهابها لمنزل زميلها العازب وحدها ؟!

قالت (مى) بحسرة :

ـ تخيل يا بابا .. وكان يوافق على مكالمات زميلى لى فى أى وقت ولا يُعلق

زميلى يجلب لى هدايا غالية وبدون مناسبة ولا يُعلق .. والطامة الكبرى عندما اخبره أنى زرت زميلى العازب وحدى فى شقته .. ولم يغضب أو يثر .. لكنى لم أفعل هذا طبعًا لأنى أعرف الأصول .. لقد كنت أختبره .

قالت خالتها :

ـ ولقد رسبت فى الاختبار .

أما جدها فقال وهو يضرب الأرض بعكازه :

ـ أنت بارد ! .. لا يمكن أن نأتمنك على ابنتنا .

يا إلهى ! .. برودى المصطنع حتى أرضيها وألا أغضبها كان هو السبب فى فسخ الخطوبة هذه المرة !

نظرت للساعة ..

لا بد من فرصة أخرى .

الزمن : قبل يوم ..

وجدت نفسى فى المطعم .. كانت (مى) تلتهم قطعة دجاج وهى تقول:

ـ كان معى هدية ولا بد أن أسلمها له .. لقد أهدانى هدية يومًا ما .. ولا بد أن أرد الهدية .

ـ هل كان معك صديقاتك وزميلاتك ؟

ـ لقد سألتنى هذا السؤال من قبل !

لقد عُدت بالزمن إلى منتصف المحادثة فلا أتذكر ما الذى قيل وما الذى لم أقله بعد ! .. ما العمل ؟ حاولت تدارك الأمر وقلت :

ـ حسنًا .. كما قلت لكِ من قبل .. كان يمكنك أن تسلميها له عند الباب ولا تدخلى .

ـ هذا الكلام تقوله لأول مرة ولم تقله لى أبدًا .

هذا خطأ الدخول فى منتصف الفيلم .. !!! .. أقصد الدخول فى منتصف المحادثة ! .. صحت ثائرًا :

ـ بل قلته وتنسينه كعادتك .. كما تنسين الأصول والواجب ـ أنا رجل شرقى ودمى حار .. لست باردًا .. وما فعلته لا يصح أبدًا أبدًا أبدًا .

صفقت بيديها بسعادة .. بهدوء دون إحداث ضجة فى المطعم الشهير . وقالت :

ـ هذا كان اختبار .

تصنعت الدهشة وقلت :

ـ ماذا ؟!

ـ أنا لم أزره فى منزله وحده .. ولم أشتر أى هدايا له .. بل إنه ليس مريضًا أصلًا .. الموضوع أننا لاحظنا كلنا ..

ـ من تقصدين بكلمة (كلكم) هذه ؟

ـ أنا وأسرتى .. لاحظنا أنك تتعامل مع كل الأمور ببرود شديد وهذا ما أقلقنا من ناحيتك .. فقررنا عمل اختبار أخير لنتأكد .

- وماذا بعد ؟

أمسكت (مى) يدى وقالت :

- لقد نجحت فى الاختبار يا حبيبى .

ابتسمت فى سعادة .. وهكذا نجحت بفرصة سحرية جديدة فى استئناف الخطوبة .. لا أعلم كم أحتاج من الفرص حتى إتمام هذه الزيجة ! - متى أتزوجك يا (مى) ؟!

نظرت خلفى .. توقعت أن أراها .. كانت (نيفين) فى نفس المكان تجلس مع المدعو (زين) .. فالزمن لن يتغير وحده !

حاولت أن أسترق السمع هذه المرة .. كانت تقول :

- يا (زين) .. لن أصبر أكثر من ذلك .. كل يوم يتقدم عريس جديد - وأنت لا تقوم بأى خطوة إيجابية .. أنت تعلم جيدًا كم أحبك ولن أحب غيرك أبدًا ! - ولكنك لا تساعدنى على الاحتفاظ بهذا الحب ! .. ما الذى يمكننى أن أفعله ؟

قال المدعو (زين) :

- واظبى على أى عريس .. وهكذا سيتوقف شلال العرسان لفترة وتستقر الأمور بالنسبة لكِ .. حتى يأتى ذلك اليوم الذى أتقدم فيه فتفسخين خطوبتك من العريس لأى سبب .

قالت (نيفين) غاضبة :

- لا - لن أفعل هذا أبدًا .. إلا إذا ..

وانقطعت مهمة التجسس عندما قالت (مى) فجأة :

ـ هل تعجبك ؟

ابتسمت مدافعًا عن نفسى :

ـ لا .

ـ ولكنك تحملق فيها باهتمام وتركت أكلك !

اندمجت فى الأكل لأثبت لـ (مى) أنى لم أكن مهتمًا بـ (نيفين) وضاعت منى الجملة للأبد .. تُرى ماذا كان شرطها لتنفيذ فكرته اللعينة ؟ .. كيف كانت ستكمل جملها ؟ .. كيف أستعيد ما قالته ؟

ثم تذكرت الساعة !

يا لى من غبى ! كيف لم يخطر ببالى استخدامها ؟!

الزمن : قبل خمس عشرة ثانية .

قالت (نيفن) غاضبة :

ـ لا ـ لن أفعل هذا أبدًا .. إلا إذا ..

قالت (مى) فجأة :

ـ هل ... ؟

وقبل أن تكمل سؤالها رفعت أصبعى على شفتى علامة على طلب السكوت ـ فأطاعتنى بدون مناقشة وهى تعقد يديها أمام صدرها غاضبة .

أكملت (نيفين) قائلة :

ـ إلا إذا .. أعطيتنى موعدًا نهائيًا وأخيرًا للتقدم لعائلتى وطلب يدى .

بعد لحظات صمت .. قال :

ـ حسنًا ـ أسبوعين .

ابتسمت (نيفين) فى سعادة ورضا قائلة :

ـ أسبوعين .. جميل ! .. إنها مدة بسيطة .. سأنتظر بدون أى خطط ولن [illegible] لقد لى أفكار خلالها .. حتى لا أحطم قلب رجل لا ذنب له فيما تفعله أنت .. [illegible] لما بعد انقضاء الأسبوعين سأتزوج أول رجل أقابله .. هل تسمعنى جيدًا ؟

يبدو أننى كنت هذا الرجل الذى قابلته بعد انقضاء الأسبوعين ـ عُدت إلى حبيبة قلبى (مى) التى كانت فى قمة غضبها وهى تسألنى :

ـ هل يمكننى التحدث الآن ؟

ـ تفضلى .

ـ لماذا طلبت منى الصمت ؟ .. من هذه ؟ .. هل تعجبك ؟

أجبتها بصراحة :

ـ هذه ستكون خطيبتى بعدك .. وكنت أريد أن أعرف لماذا وافقت على الخطوبة طالما أنها تحب رجلًا آخر من قبلى ؟

* * *

(17)

صارحت (مى) بالحقيقة لأنى كنت أنوى العودة بالزمن فى جميع الأحوال. وسوف يمحو السحر ما قلته !

الزمن : قبل عشر دقائق .

كانت (مى) تمسك يدى وتقول :

ـ لقد نجحت فى الاختبار يا حبيبى .

يبدو أنى عُدت فى اللحظة المناسبة .. كانت (نيفن) خلفى تقول :

ـ يا (زين) ـ لن أصبر أكثر من ذلك ..

لم ألتفت لها ولم أهتم بسماع بقية الحوار .. لقد سمعته من قبل .

★ ★ ★

بعد أسبوع .. ذهبت لزيارة (مى) فى منزلها ـ فوجئت بوجود جدها وخالتها هناك ـ هذا نذير شؤم ! .. هذا الاجتماع العائلى لا يبشر بخير أبدًا !

قالت (مى) وهى تعطينى حقيبة الذهب والهدايا :

ـ كل ما بيننا انتهى .. الزواج قسمة ونصيب .

ـ ما الذى حدث ؟! .. أنا لم أغضبك فى أى شىء .

قال أبوها :

ـ ولكنك بطىء .. وعملك لا يدر عليك دخلًا جيدًا .. نحن نريد أن نطمئن على مستقبل ابنتنا .

قال جدها وهو يضرب الأرض بعكازه :

ـ أنت بطىء !

ابتسمت ساخرًا .. يبدو أن هذه الخطوبة محكوم عليها بالفشل قبل أن تبدأ. لقد أهدرت فرصًا كثيرة بدون فائدة .. ولن أحاول مرة أخرى .. لقد تعلمت الدرس :

• لا تحاول إقناع فتاة مغرورة بحُبك طالما أنها لا تحبك من الأساس .. خاصة من تحمل اسم (مى) .

أخرجت ساعتى أمامهم وقلت :

ـ لو أن عملى لا يناسب ابنتكم كان المفروض أن تخبرونى بذلك من البداية.. جميعكم كلاب !

وغُدت بالزمن قبل أن يفتكوا بى ..

الزمن : قبل أسبوع .

وجدت نفسى جالسًا فى مطعم وجبات الدجاج الساخنة مع (مى) التى كانت تقول :

ـ أنا لم أزره فى منزله وحده .. ولم أشتر أى هدايا له .. بل إنه ليس مريضًا أصلًا .. الموضوع أننا لاحظنا كلنا أنك تتعامل مع كل الأمور ببرود شديد وهذا ما أثار قلقنا من ناحيتك .. فقررنا عمل اختبار أخير لنتأكد ـ ولكنك .. نجحت فى الاختبار يا حبيبى .

لم أقاطعها هذه المرة وتركتها تقول جملتها كاملة .. ثم نظرت فى عينيها وسألتها :

ـ هل تحبيننى حقًا ؟

أجابت وقد أدهشها السؤال :

ـ طبعًا .

لمحت شرودى فسألتنى :

ـ هل تشك فى حبى لك ؟

ـ تكرار فسخ خطوبتنا يدل على أنكِ لا تحبيننى .

اندهشت من جملتى وقالت :

ـ هل تمزح ؟ .. خطوبتنا لم تُفسخ ولا مرة .

ـ هذا فى حياتك .. لكن فى حياتى لا .. لقد فسختِ الخطوبة أكثر من عدد المرات التى دخلنا فيها هذا المطعم .

ـ ما الذى تقوله ؟! .. لا أفهم شيئًا .

أمسكت يديها ونظرت إلى عينيها بعمق لعلى أعرف إجابة سؤالى :

ـ (مى) .. من فضلك أجيبينى بصراحة .. هل تحبيننى ؟

ـ لماذا تسأل هذا السؤال الآن ؟

ـ ما الذى يجعلك تقومين باختبارى ؟ .. وماذا لو فشلت فى الاختبار ؟ .. هل ستفسخين الخطوبة ببساطة أم تحاولين تنبيهى للخطأ الذى ارتكبته ؟ .. أو الصفة السيئة التى لدى .. ربما أغيّر من سلوكى أو من طريقة تفكيرى ..

وماذا لو أننى نجحت فى الاختبار هل كنتِ ستبحثين عن اختبار آخر قريب ؟.. أو أى عيب آخر يكون سببًا قويًا أمام عائلتك ؟ .. (مى) .. أرجوكِ .. أخبرينى الحقيقة .. هل تحبيننى ؟

صمتت لفترة وكأنها حائرة فى الرد .. فى النهاية قالت :

ـ نعم .. أحبك .

ـ لا .. أنتِ تكذبين .. إن من يحب أحدًا يغفر له أخطاءه .. يتجاوز عن عيوبه .. لا يبحث عنها بعدسة مكبرة ويبرزها ويُبروِزها .. من الواضح أنكِ لم تحبينى على الإطلاق .. أو حاولتِ تصنّع الحب ولكن فشلتِ .. بمرور الوقت اكتشفتِ أنه لا يمكنك الاستمرار فى هذه الخدعة السخيفة .. وأنا الآن لا أريد تصريحًا كاذبًا بالحب .. بل أريد تصريحًا صادقًا بحقيقة مشاعرك نحوى .. أخبرينى بكل ما يجول بخاطرك .. ولن أتضايق أو أتذمر .

ـ (سيد) .. أنا أحبك .. ولكن ..

ـ بالضبط .. أخبرينى ماذا بعد (لكن) هذه ؟..

ـ لكن .. العمل فى شركة (سوبر جالاكسى) لا يدر عليك دخلا جيدًا .. أنا أحصل على مرتب أكبر من مرتبك .. ثم إنك بطىء فى تجهيز شقتك .. ومسألة والدك الذى تعيش معه هذه .. أعلم أنه يعيش فى شقة منفصلة عن شقتك .. ولكن لا يمكن أن تتركه وحيدًا وتعيش معى طوال الوقت !

ـ كل هذا ! أكملى .. هل هناك شىء آخر ؟

ـ لا .

خلعت الدبلة من إصبعى ووضعتها أمامها على المنضدة .. وقلت لها ما سمعته منها من قبل :

ـ أنا سأظل على هذا الحال ولن أتغير .. كل ما بيننا انتهى .. الزواج قسمة ونصيب .

ـ لكن يا (سيد) .. إن الـ .. آآآ .. اترك هذه الساعة وانتبه لى .. أنا أريد أن أقول إنك ..

لم أسمع بقية جملتها .. لقد انتقلت بالزمن ..

★ ★ ★

لقد كذبت عليك يا (مى) .. لن أبقى على حالى .. بل سأتغير .. تغيرًا جذريًا .. سأكون (السيد) آخر غير (السيد) الذى عرفته .. سأكون سيد الموقف .. سأكون سيد قرارى .. سيد اختياراتى .. سأكون (السيد) بشكل آخر فى وظيفة أخرى فى مكان آخر بمرتب آخر أفضل .. سأكون أفضل مما كنت بكثير .. وسأفعل هذا بواسطة أداتى السحرية .

نظرت إلى الساعة .. ليس هناك خانة للسنوات على سطحها .. لكن .. ما الذى يحدث لو أننى داعبت زر الشهور كثيرًا ؟!

ظلت الشهور تتغير أمامى للخلف .. أكتوبر .. سبتمبر .. أغسطس .. يوليو .. يونيو .. مايو .. إبريل .. مارس .. فبراير .. يناير .. ديسمبر .. نوفمبر .. أكتوبر ..

وعادت الساعة إلى شهر (أكتوبر) مرة أخرى ..

الزمن : قبل سنة .

وجدت نفسى فى مكان آخر غير المطعم .. أظن أننى داخل شركة (سوبر جالاكسى) .. هذا يعنى أنه (أكتوبر) الماضى .. لقد مر عام كامل الآن ..

أدرت زر الشهور مرة أخرى .. وراحت الشهور تعود للخلف .. سبتمبر .. أغسطس .. يوليو .. يونيو ..

مر شهر (أكتوبر) أمامى مرات كثيرة .. تُرى فى أى عام نحن ؟ .. ليت هناك خانة تخص السنوات فى الساعة !

الزمن : قبل أربع سنوات .

كنت أجلس فى مقابلة من أجل وظيفة شركة (سوبر جالاكسى) للدعاية والإعلان .. كان المدير يجلس أمامى خلف مكتبه .. وبجواره (صوفيا) عن يمينه .. و(منيرة) مدمنة الجزر ـ عن يساره .. فى ذلك اليوم كنت أراهم لأول مرة .. سألنى المدير الذى لم يكن مديرًا وقتها :

- كيف ترى نفسك بعد خمس سنين ؟

ابتسمت وتذكرت ما فعلته .. فقلت بصدق :

- أرى نفسى أقف فى حجرة الاجتماعات أقذفك من النافذة .

★ ★ ★

(18)

عُدت بالزمن قبل أن أرى رد فعل المدير .. أدرت زر الشهور مرة أخرى ..

الزمن : قبل عامين .

وجدت نفسى واقفًا فى حجرتى أرتدى ملابس منزلية .. لا أعلم لماذا كنت واقفًا ! هل كنت أتأهب للنوم أم للخروج ؟!

بحثت عن هاتفى المحمول .. لم أجده لكنى وجدت هاتفًا محمولًا قديمًا على المكتب .. من ذلك النوع الصغير الذى يعمل بأزرار كثيرة .. يبدو أنه هاتفى القديم .. أما هاتفى الجديد .. ربما لم يخترعوه بعد أو ربما اخترعوه لكنى لم أشتره بعد !

نظرت إلى المرآة فى حجرتى .. رأيت شكلى أصغر بسبعة أعوام .. ليس هناك فرق كبير عن الشكل الذى رأيته فى المرآة بالأمس .. شعرى مصفف بطريقة غريبة ! لا أعلم كيف كنت مفتونًا بهذه التصفيفة من قبل ! .. إن الإنسان يتغير وطريقة تفكيره تتغير بالفعل ! .. كنت فى ذلك الوقت محتفظًا بشاربى قبل أن ترغمنى (مى) على حلاقته بعد أن أقنعتنى بأن شكلى سيكون أفضل .

لقد عُدت سبعة أعوام فى ثوان معدودة .. الحمد لله أن الساعة ليس بها زر للأعوام .. لأن أى حركة خاطئة به ستفقدنى عامًا كاملًا فى لحظة .. ربما لو ظللت أدير الزر لوجدت نفسى طفلًا رضيعًا فى حضن أمى !

يجب أن أحترس فى استخدام زر الشهور .. فالساعة ليس بها زر لتسريع

الزمن أو الذهاب إلى المستقبل ! .. وهذا يعنى أن أى عودة للوراء ستجعلنى أعيش الزمن مجددًا بمنتهى البطء لأصل لنفس النقطة التى تركتها سابقًا .

★ ★ ★

ارتديت ملابسى وخرجت ..

كانت السينما تعرض فيلمًا شيقًا .. لم أره من قبل .. فدفعت التذكرة ودخلت لمشاهدته ..

وعندما انتهى الفيلم وخرجنا جميعًا من قاعة العرض .. قمت بتأخير التوقيت .. لأشاهده مجددًا .

الزمن : قبل ساعة ونصف .

وجدت نفسى جالسًا داخل السينما .. والفيلم يبدأ عرضه ..

وهكذا شاهدت الفيلم مرة أخرى .. لكن مجانًا .

عندما خرجت من السينما للمرة الثانية .. فكرت أن أشاهد الفيلم مرة ثالثة بواسطة الساعة السحرية مجانًا ! لكن تراجعت عن الفكرة .. أنا لم أعد للزمن الماضى من أجل مشاهدة فيلم قديم فى السينما عُرض منذ سنوات ! .. هذا الفيلم كان يُعرض على التليفزيون مرات كثيرة فى المستقبل !

بعد ساعة من التجوال فى الشوارع وجدت إعلانًا ملصقًا على مبنى .. شركة كبيرة تطلب شباب للعمل من الجنسين .. ذهبت للعنوان المذكور فى الإعلان ..

أجريت مقابلة داخل الشركة .. كنت أجيب عن كل الأسئلة بطريقة جيدة. حتى الأسئلة التى لم أعرف إجابتها كنت أعود بالزمن ومعى إجابتها الصحيحة التى عرفتها من اللجنة نفسها مقابل مبلغ من المال .. المال الذى يعود لى بمجرد عودتى بالزمن .

بالضبط كما فعلت من قبل .. بعد ذلك بسنوات فى المستقبل !

قال الرجل فى النهاية وهو يمد يده لمصافحتى :

ـ أنت أفضل المتقدمين حتى الآن !

ابتسمت ابتسامة عريضة وصافحته بحرارة .. ثم سألته هامسًا :

ـ فى حال تعيينى .. كم سيكون المرتب .. تقريبًا ؟

عندما أخبرنى بالرقم أصابتنى الصاعقة .. هل عُدت بالزمن لأحصل على نفس المرتب الذى كنت أحصل عليه من شركة (سوبر جالاكسى) ؟!

★ ★ ★

ذهبت إلى صالة قمار .. كازينو (ليالى)

نعم .. اتجهت إلى طريق المال الحرام .. أريد أن أصبح ثريًا فى أسرع وقت .. لأنتقم من اللعينة (مى) .

جلست على أحد المناضد بجوار مجموعة من الأثرياء .. لكنهم أسوأ نوع من البشر .. النوع المقامر .. كما وصفهم (الريس عمر حرب) فى الفيلم .

أخذت نصيبى من أوراق اللعب (الكوتشينة) .. وراهنت بجميع ما لدى من مال .. وطبعًا خسرت الرهان .. فأنا لست محترفًا فى اللعب .. ولا مشتعل الذكاء

مثل أبطال فيلم (21) بطولة كيفين سبيسى ـ المستوحى من قصة حقيقية .. ولا أملك حظًا وافرًا .. لذا كان من البديهى أن أخسر .

ضحك الجميع وسخروا من خسارتى الفادحة وتركت المنضدة حزينًا ..

ثم استخدمت ساعتى ..

الزمن : قبل خمس دقائق .

وجدت نفسى جالسًا فى نفس المكان والرجل يبدأ فى توزيع الأوراق علينا .. راهنت بجميع ما لدى من مال مرة أخرى .. لكنى فى هذه المرة أعرف أوراقهم جميعًا .. من المرة السابقة .

وهكذا ربحت بسهولة .. وكانوا فى شدة الغضب والحنق والغيظ !

لم أفعل مثلهم .. لم أسخر من خسارتهم .. ولم أبد سعادتى بالمبلغ الكبير الذى حصلت عليه حتى لا أثير غيظهم أكثر .. يكفى ما يشعرون به فى تلك اللحظة ..

وكررت تنفيذ الخطة مجددًا .. مرات ومرات ومرات ومرات .. كثيرة جدًا .

أخسر فأعرف أوراقهم جميعًا .. ثم أعود بالزمن دقائق معدودة وأراهن من جديد وأربح .. ثم نلعب مرة أخرى وأخسر وأعرف أوراقهم ثم أعود بالزمن وأربح .. ثم أخسر وأعود ثم أربح .. وهكذا .

كررت هذه العملية فى كل لعبة .. حتى انتهت الليلة وقد حصلت على مليون دولار !

يا له من مبلغ كبير فى ذلك الزمن .. وكل زمن !

تُرى كم أحتاج من السنين من العمل الشاق لأصل إلى هذا المبلغ ؟!

خرجت من الكازينو حاملًا حقيبة بها مليون دولار وأطنان من السعادة تملأ قلبى .. إن هذه الساعة كنز حقيقى لمن يستطيع استخدامها بمهارة!.. لاأعرف كيف يفرط أحد فيها ويبيعها للمدعو (مجاهد) صاحب محل (جراب الحاوى) .

لم أنتبه للرجال الضخام الذين كانوا يسيرون خلفى .. كانت السعادة تشل تفكيرى .. لم أفكر فى الأثرياء الذين حصلت على أموالهم فى تلك الليلة وسيعودون لبيوتهم مفلسين .. ظننت أنهم سيتركوننى أعود إلى منزلى بأمان.. وأنهم لن يفكروا فى الانتقام من ذلك الرجل الغامض المحظوظ الذى كان نجم الليلة .

كنت قد ابتعدت عن الكازينو مسافة كبيرة .. عندما حاصرونى وأدخلونى شارعًا جانبيًا بعيدًا عن الأعين .. كانوا أربعة من نفس أحجام أبطال المصارعة الحرة .

استسلمت وأعطيتهم الحقيبة بهدوء ..

كنت أعلم أنى لست محظوظًا لهذه الدرجة .. وأن المال الحرام لا يدوم !

قال كبيرهم وأضخمهم :

ـ هل كنت تظن أننا سنتركك تفلت بكل هذا المال ؟!

هززت رأسى نفيًا .. فقال :

ـ والآن .. أخبرنا .. كيف كنت تربح فى كل الجولات ؟

ابتسمت قائلًا :

- مسألة حظ .

اقترب منى وأمسك ذراعى وانتزع منها الساعة وقال :

- لاحظنا من خلال كاميرات المراقبة أنك كنت تنظر للساعة كثيرًا .. كثيرًا جدًا .. لا بد أن السر فى هذه الساعة .. هل هى جهاز إرسال أم هاتف محمول أم كاميرا خفية دقيقة .. أم ماذا ؟

وراح يتأملها .. قلت له :

- إنها ساعة عادية ورثتها عن أمى .. أرجوك اتركها لى .. وخذ كل الأموال التى ربحتها .. وأعدك أنى لن أدخل الكازينو مرة أخرى ولن ترى وجهى بعد ذلك أبدًا .

رفع عينيه عن الساعة وابتسم قائلًا :

- الساعة لن تأخذها أبدًا .. سأعتبرها هدية من أمك .. لى .. والآن أخبرنى بالسر .. كيف ربحت هذه الليلة .

- حسنًا .. أعطنى الساعة وسأخبرك بكل شىء .

- إذن هناك سر بالفعل .. جميل ! .. هذه بداية جيدة .

أشار إلى رفاقه إشارة معينة .. فراحوا يضربوننى بكل قوتهم فى جميع أماكن بجسدى .. آلام رهيبة .. صرخت .. فقال :

- إياك أن تصدر صوتًا وإلا قتلناك فى الحال .

ـ أنتم ستقتلوننى فى جميع الحالات .

ـ لا .. لسنا قتلة .. سنكتفى فقط بقطع يدك .. هذا جزاء الغشاش فى لعبة القمار .

سمعت ما قاله فشعرت بالرعب الشديد .. ماذا أفعل ؟ .. ليس لدى أى حيلة طالما أن الساعة بحوذته .. ولن أستطيع الهروب وهُم يقيدوننى بأذرعهم .

دعوت الله أن ينقذنى من هذا الموقف وتعهدت بأنى لن أدخل صالة قمار بعد ذلك أبدًا .

قال الرجل مبتسمًا فى سعادة عندما لمح الرعب فى عينى :

ـ والآن .. أخبرنا بالسر .

ـ أقسم لك .. سأخبرك بالسر عندما تعطينى الساعة .

ابتسم الرجل ابتسامة مقززة وقال ساخرًا :

ـ ما فائدة الساعة ولن يكون لديك يد لتحملها ؟

ثم أشار إلى أحد الرجال .. فرفع الساطور الذى كان يخفيه فى ملابسه .. وهوى به على ذراعى بأقصى سرعة !

وصراخى ملأ المكان .

★ ★ ★

(19)

سقطت يدى على الأرض فى مشهد قاس مؤلم .. والدم الغزير ملأ المكان والرجال يحاولون كتمان صراخى .. قال الملعون :

ـ والآن .. هل ستخبرنا بالسر أم نقطع لك يدك الأخرى ؟

كان الموقف عصيبًا .. وكان عقلى عاجزًا عن التفكير .. كيف أتخلص منهم ؟.. كيف أستعيد ساعتى ؟ كيف أهرب من هنا ؟

لا أريد مالًا .. لا أريد الساعة .. أريد الاحتفاظ بيدى !

لو أخبرتهم بالسر .. ربما لا يتركوننى أعيش .. حتى لا أخبر به أحدًا آخر غيرهم .. ولن يعطونى الساعة أبدًا .. وسيقطعون يدى الأخرى إذا لم أخبرهم.

ماذا أفعل ؟

دعوت الله كثيرًا أن ينقذنى من هذا الموقف ..

وكأن الله استجاب لدعائى .. حدثت معجزة فى المكان .. انشقت الأرض عن ثلاثة شباب أقوياء .. هجموا على الأربعة .. وراحوا يضربونهم واستولوا على سلاح بعضهم .. بينما استسلم الآخرون أمام تهديد السلاح .. فتركوا أسلحتهم.

« ما الذى فعلتموه ؟ .. لا تورطوا أنفسكم فى شىء أكبر منكم .. عودوا إلى منازلكم ونعدكم أننا سننسى ما حدث منكم الآن .. إن هذا صعلوك .. لص .. ولقد تأدبه .. هذا كل شىء » .

قالها الأضخم مهددًا بمنتهى الغضب .

نظرت إلى الشبان الثلاثة لأشكرهم على إنقاذى .. وكانت المفاجأة !

★ ★ ★

فوجئت بأن الشبان الثلاثة الذين أنقذونى الآن من عصابة الكازينو هُم أنفسهم الثلاثة الذين حاولوا قتلى من قبل .. بعد ذلك بسنوات طويلة .. فى المستقبل !

إنهم (سمير) وعصابته ..

كانوا أصغر سنًّا عما رأيتهم من قبل !

لم يعرفونى طبعًا لأنى سأقابلهم فى مستقبلهم .. وقد لا أقابلهم أبدًا !

يا للسخرية ! .. لقد تم إنقاذى من العصابة على يد عصابة أخرى ! .. لكنى أفضّل عصابة (سمير) عن عصابة الكازينو .. لأنهم أقل شراسة وأصغر حجمًا وسنًّا وأقل عددًا .

قال (سمير) الذى كان يحمل مسدس الضخم :

ـ يا لكم من حقراء ! .. تستغلون كثرتكم وتنهالون بالضرب على هذا الرجل المسكين وتستولون على أمواله وتقطعون يده أيضًا .

تعجبت من قول (سمير) .. هل يمـزح أم إنه كان طيبًا فى ذلك الزمن ؟!

جمع (متولى) أسلحتهم .. بينما انحنى (صبحى) يحمل يدى عن الأرض ويعطيها ليدى الأخرى بمنتهى الحزن والأسى على وجهه .. قال الضخم :

ـ صدقونى .. أنتم تورطون أنفسكم فى أمر أكبر منكم بكثير .. لذا لا تتمادوا فيه ـ وإلا سيكون الجزاء أكبر .

لم يهتم (سمير) بما قاله الرجل وسألنى :

ـ هل هذه الحقيبة تخصك ؟

أومأت برأسى إيجابًا .. فأعطى الحقيبة ليدى السليمة .. قلت له :

ـ والساعة .

اندهش (سمير) .. فقلت مفسرًا :

ـ الساعة التى معه تخصنى !

جذب (متولى) الساعة من يد الرجل تحت تهديد السلاح .. ثم أعطاها لى .. قال (سمير) لهم وهو يخرج هاتفه المحمول من جيبه :

ـ والآن نبلغ الشرطة .

قال الضخم وعصابته فى صوت واحد :

ـ لا .. أرجوك .. لا تفعل .

وأنا وافقتهم الرأى قائلًا :

ـ لا .. لا تتصل .. لا أريد أن تتدخل الشرطة .

نظر (سمير) مندهشًا لى وسألنى :

ـ لماذا ؟ .. لقد سرقوك وعذبوك .. لقد قطعوا يدك !

ـ لقد استعدت ساعتى .. وهذا هو المهم ! .. أى شىء آخر يمكن تعويضه .

ـ ماذا ؟!

ـ لا تشغل بالك .

شكرتهم .. وعرضت عليهم الحقيبة وما بها من مال .. قائلًا :

ـ اعتبروها مكافأة منى لإنقاذى من هؤلاء الأوغاد .

رفض (سمير) بشدة قائلًا :

ـ لا .. لم نفعل سوى الواجب .. وهذا مالك .. بأى حق نحصل عليه ؟

تعجبت من رده .. لقد توقعت القبول ..

ربما رفضوا لأن المبلغ كبير ويظنون أنها مجرد مجاملة رقيقة منى وليست جادة .. قلت :

ـ حسنًا .. سأعطيكم عُشر المبلغ .. مائة ألف دولار .. حقكم القانونى .. كأنكم عثرتم على هذه الحقيبة وأعدتموها لى .

ـ لا .. شكرًا .. نحن لم نفعل هذا نظير المال .. لقد سمعنا صراخك وتدخلنا لإنقاذك لأننا وجدناك فى ورطة .. هذا هو الواجب .

لا أصدق أننى أسمع هذا الحديث من (سمير) لص المستقبل !

لا أعلم كيف تحول هذا الشاب الطيب الشجاع إلى اللص الشرير خلال سنوات ؟ .. كيف يتحول الشرف والأمانة والكبرياء إلى الحقارة والدناءة ؟ كيف يتحول إنسان من النقيض إلى النقيض فى بضع سنوات ؟! .. كيف يرفض الآن مبلغًا ضخمًا من المال أعطيه له عن طيب خاطر ثم يسرقنى فى المستقبل ؟!

عرضت المبلغ على (متولى) و(صبحى) .. فرفضوا أيضًا مثله ..

كان الأمر محيرًا للغاية ! .. ما الذى حدث لهم فى المستقبل وغيّر سلوك هؤلاء الثلاثة ؟! أى ظروف تعرضوا لها ؟

كنت أتمنى أن يأخذوا المبلغ .. ربما يصبح هذا سببًا فى عدم اقتحامهم عالم الإجرام !

قال (سمير) :

- هل تحب أن نوصلك لأقرب مستشفى ؟

- لا .. شكرًا .. لا أحتاج إلى ذلك .

وانتقلت بالزمن عن طريق إدارة زر الدقائق ..

الزمن : قبل ربع ساعة .

وجدت نفسى خارجًا من الكازينو .. حاملًا الحقيبة بيدى .. الحمد لله .. يدى سليمة .. إنها سليمة .

راحت أرفع يدى عاليًا .. سعيدًا بالحقيبة .. وسعيدًا بعودة يدى التى تعطلها!

التفت للخلف .. لمحت الرجال الأربعة يسيرون خلفى .. أشرت للتاكسى . وعندما توقف أسرعت نحوه وفتحت الباب وقلت للسائق :

ـ انطلق بسرعة .. إنهم يريدون قتلى .

ركبت السيارة ووضعت الحقيبة العامرة بالمال بجوارى .. كان الرجال قد أسرعوا خطاهم عندما لمحونى أشير للتاكسى .

راحوا يلوحون لأى تاكسى حتى يلحقوا بى .. مرت دقيقة داخل التاكسى قبل أن ألمح من النافذة (سمير) و(متولى) و(صبحى) يسيرون على مسافة بعيدة من الكازينو ..

أمامهم عشر دقائق أو أقل حتى يصلوا للكازينو .. حيث رأونى وأنقذونى .

تساءلت الآن : ماذا كان سيحدث لو كانوا أخذوا المكافأة ثم عُدت بالزمن لأستعيد يدى وعاد المال إلىّ من جديد ؟!

طلبت من السائق أن يتوقف .. ثم دفعت له أجرته ثم نزلت وركبت (تاكسى) آخر .. وتركت عصابة الكازينو تطارد التاكسى الأول .

★ ★ ★

عُدت إلى منزلى .. كان أبى نائمًا .. لذا لم أسمع أى توبيخ على تأخرى بالخارج ..

وفى الصباح .. ذهبت إلى البنك .. لأضع جزءًا كبيرًا جدًا من المبلغ هناك .. وأحتفظ بجزء لخطوبة (مى) .

سمعت صراخًا بالخارج .. لم أهتم .

بعد ربع ساعة من مكوثى فى البنك منتظرًا دورى .. سمعت ضجة داخل البنك .. تحريت الأمر .. اكتشفت وجود عصابة ملثمة تسطو على البنك وأنا بالداخل .

وتهدد بقتل الرهائن ..

يا لحظى اللعين !

كم مرة سأتعرض للقتل فى هذا الماضى ؟

★ ★ ★

(20)

قمت بتأخير التوقيت ..

الزمن : قبل ربع ساعة .

وجدت نفسى خارج البنك ومعى الحقيبة وعلى وشك الدخول .. استدرت عائدًا .

سأضع المال بعد انتهاء السطو المسلح .. أو ربما أضعه فى بنك آخر .

وفجأة ..

سمعت صوت احتكاك إطارات سيارة بالرصيف نتيجة التوقف المفاجئ .. ثم صراخًا عاليًا ..

يا إلهى ! .. لقد صدمت سيارة مسرعة طفلًا كان يعبر الطريق ..

هذا إذن كان سبب صوت الصراخ الذى سمعته خارج البنك منذ ربع ساعة ولم أهتم بمعرفة السبب .

كان مشهد جثة الطفل الصغير مريعًا شنيعًا وبكاء الأم يمزق نياط القلب ..

خرج السائق من سيارته لا يعرف ماذا يفعل ! .. والكل يلومه على السرعة المتهورة .. ويريدون تمزيقه .

ليس بيدى شىء أستطيع فعله لهم ..

ثم تذكرت الساعة ! ..

نعم .. أستطيع .

الزمن : قبل دقيقتين .

بحثت حولى .. عن الطفل الصغير وأمه .

لم أجدهما ..

حاولت تذكر اتجاه سير الطفل وأمه .. من أين أتيا ؟!

حاولت أن أبحث عن السيارة .. لا أراها .. ربما لن تظهر الآن .

وفجأة .. لمحت الطفل وأمه .. ظهرا من شارع جانبى .. يمسكان بيدى بعضهما .. لا أعرف متى أفلتت (الأم) طفلها !

اتجهت نحوهما .. وتابعت حركة الطفل جيدًا .

وفجأة .. تملص الطفل منها عندما لمح بائع الآيس كريم على الرصيف الآخر .. أمسكت الطفل قبل أن يتجه نحو السيارة المسرعة .

انتظرت أن تشكرنى الأم .. فوجئت بها تصيح :

- من أنت ؟! .. ولماذا تمسك ابنى هكذا ؟ .. هل تريد خطفه ؟

يا إلهى ! .. أنقذت ابنها وتتهمنى بخطفه .

تجمهر الناس حولى بسبب صياحها العالى .. ظنًا منهم أنى واحد من عصابات خطف الأطفال .. اعتذرت للأم وقلت :

- أنا آسف .. لقد وجدت الطفل يتجه نحوى .. ظننت أنه أحد تلاميذى الذين درست لهم فى المدرسة ويريد الترحيب بى .. أعتذر بشدة .

وتركتهم وعُدت إلى منزلى وأنا سعيد أن السيارة المسرعة عبرت بسلام دون أن تقتل الطفل .. لكن ربما قتلت أحدًا فى طريقها بسبب سرعتها المجنونة !

لا أعلم .

وليس لدى الوقت والفراغ لتتبع خط سيرها وإنقاذ ضحاياها القادمين !

★ ★ ★

ذهبت إلى منزل (مى) .. ومعى حقيبة مليئة بالدولارات .. جلست مع أبيها وأمها .. قلت بكل ثقة وغرور :

ـ أعرفكم بنفسى .. اسمى (عُمر) .. وجئت اليوم لأطلب يد ابنتكم وسأدفع مهرًا ربع مليون إن شاء الله .

ظهرت السعادة الكبيرة على وجه أبيها بينما قالت الأم بغاية الدهشة :

ـ ربع مليون جنيه !

صدمتهم بقولى :

ـ لا طبعًا .

ظهرت الحيرة والقلق على وجوههم قبل أن أقول :

ـ ربع مليون دولار .

ثم فتحت الحقيبة ليروا الدولارات بأعينهم وأكملت :

ـ وهذا جزء من المبلغ .. لكى نقرأ الفاتحة ولأثبت حسن نيتى وجديتى .

كانت حماتى السابقة مصعوقة من الرقم .. طبعًا لم تتخيل أن يتقدم أحد لخطبة ابنتها بربع هذا المبلغ أصلًا .. سواء بالجنيه المصرى أو الدولار .

تحسس الأب الأموال وراح يشمها بنشوة .. وأخذ ورقة عشوائية ليتأكد أنها سليمة !

أبدوا موافقتهم الأولية على عرض الزواج .. ابتسمت فى سعادة لترحيبهم الشديد بى ..

راحوا يستدعون ابنتهم التى كانت ترانى لأول مرة فى هذا الزمن .. صافحتنى بخجل أنثى عذراء .. سألتها :

- أما زلت تدرسين ؟

أجابت أمها قائلة :

- نعم .. ولكن .. يمكنها أن تكمل دراستها بعد الزواج .. أو .. لا تكمل .. كما تحب .

قلت محاولًا إبراز عيوبى لأختبر صبرهم وقوة تحملهم :

- ولكنى لم أكمل .

- ماذا تعنى ؟

- لم أكمل تعليمى .. لم أحصل على أى شهادة .. قضيت عمرى كله فى العمل بالخليج .

قالت الأم :

- لا يهم .. (الرجل لا يعيبه إلا جيبه) .

ـ شقتى ليست جاهزة .. ستحتاج وقتًا طويلًا .. لذا ستكون مدة الخطوبة طويلة .

ـ لا داعى من طول فترة الخطوبة .. يمكنكم الزواج فى أى شقة مفروشة حتى تجهز شقة الزوجية .

ـ هناك شقة أخرى .. ملك لى .. ولكن يعيش فيها أبى وحده لأن أمى متوفاة وليس لى أخوات .. فهل توافقون على زواج ابنتكم فيها .. ويعيش أبى معنا ؟

ـ وما المانع ؟ .. السيد الوالد على رأسنا .. هو الخير والبركة .. لماذا لم يحضر معك ؟

ـ سيأتى معى فى المرة القادمة إن شاء الله .. كنت أريد التأكد من الموافقة .. حتى لا أعرضه للإحراج فى حالة الرفض .

ـ رفض ! .. لماذا يا ولدى ؟ .. لن نجد لابنتنا عريسًا أفضل منك .

نظرت إلى العروس الخجول وسألتها :

ـ وأنت يا عروسة .. ما رأيك ؟

ابتسمت ولم تقل كلمة .. فقالت أمها :

ـ (السكوت علامة الرضا) .

فسألت (مى) :

ـ وماذا عن الشقة التى يسكن فيها أبى ؟ .. هل توافقين أن نتزوج فيها حتى تجهز شقتنا ؟

ـ أبوك مثل أبى .. وسأخدمه بعينى .. سنعيش معه .. بل أريده أيضًا أن ينتقل معنا إلى شقة الزوجية .. حتى لا نتركه يعيش بمفرده .

هذا يختلف تمامًا عن رأيها عندما فسخت الخطوبة آخر مرة ! .. لقد نجح الجزء الأول من الخطة .. حان الجزء الثانى .

انطلق رنين الهاتف المحمول من جيبى .. فقمت بالرد :

ـ آلو .. أهلًا وسهلًا .. كيف حالك يا رجل ؟ .. ماذا ؟ .. (نادين) ابنة عمى وصلت بالسلامة من أمريكا ؟ .. معقول ! لا أصدق نفسى .. سآتى حالًا .

كنت قد اتفقت مع صديقى أن يتصل بى فى هذا الوقت .. واخترعت المحادثة أمامهم .

ثم استأذنتهم قائلًا :

ـ اسمحوا لى .. مضطر للانصراف الآن .

وحملت حقيبتى دون أن أترك دولارًا واحدًا .. وتركتهم فى قمة الحيرة وهُم يتساءلون عن (نادين) هذه وهل ستخطف العريس الجديد من أيديهم ؟ هل سيأتى مع أبيه كما وعد أم لن يروه مرة أخرى وأن هذا كان حلمًا جميلًا يصعب أن يتحقق ؟

خرجت من عندهم وأغلقت الهاتف ورميته فى النيل .

لقد انتقمت !

★ ★ ★

(21)

لماذا أتزوج (مى) أو (نيفين) وقد أصبحت مليونيرًا ؟! .. بهذا المال يمكن أن أتزوج أجمل جميلات مصر .

لكنى سوف أذهب لحبيبة قلبى .. د. (نهى) ..

والتى أحببتها قبل تعرفى على (مى) وخطوبتنا .. لكن لم أستطع التقدم لها بسبب ظروفى المادية السيئة .. وهى من عائلة ثرية .

حملت حقيبة الدولارات وقمت بزيارة منزلها .. استقبلنى والدها بترحاب .. لم يكن يعرف من أنا .. لكنه دعانى للدخول عندما رآنى شابًا مهذبًا .

أظن أنه قد خمن سبب زيارتى .. أو ربما أعطته د. (نهى) تلميحًا .

ـ يشرفنى يا عمى .. أن أطلب يد ابنتك للزواج .

ـ وأين والدك أو والدتك ؟

ـ والدتى متوفاة .

ـ اللّه يرحمها .

ـ والدى فى البيت .. لم أشأ أن يأتى معى فى الزيارة الأولى .. أحببت أن أعرض عليك الأمر .. وإذا كانت هناك موافقة مبدئية سيأتى معى فى المرة القادمة .. لم أشأ أن أعرضه لأى موقف محرج .

ـ لا يوجد أى إحراج .. الزواج قسمة ونصيب .. وكان من الأصول أن يأتى أبوك معك وهو الذى يتحدث بالنيابة عنك .

شعرت بالقلق من أسلوبه .. لكنه ابتسم وقال :

ـ لكنى مقتنع بالسبب الذى ذكرته .. حتى لو كنت أرفضه .

تشجعت للحديث وقلت :

ـ سأدفع المهر الذى تـ ...

قاطعنى د. (أشرف) قائلًا :

ـ نحن نتحدث عن ابنتى .. لذا يهمنى الشخص الذى سترتبط به وأطمئن على حياتها معه .. لا تهمنى الأمور المادية .. احك لى عن نفسك .

ـ اسمى (السيد) .. خريج كلية التجارة ..

شعرت بتغير ملامحه عندما ذكرت كُليتى .. حتى شعرت أنه لم يسمع أى جملة بعدها .. حاولت التحدث كثيرًا عن عملى بالخليج وثروتى التى تتعدى المليون دولار .. حتى إننى شرعت أفتح الحقيبة لأريه الدولارات ليصدقنى لكنه منعنى من فتحها بهدوء مع ابتسامة لطيفة .. يبدو أن المال لا يهمه حقًا فى مسألة زواج ابنته .

فى نهاية حديثنا الذى استغرق نصف ساعة تقريبًا قال :

ـ إن الزواج يا ولدى قسمة ونصيب .. ومن الواضح أنك شاب على خلق .. فالذى يهتم بوالده ويرعاه فى هذه السن الكبيرة إنسان محترم وأستطيع أن اؤتمنه على ابنتى .. ومن الواضح أنك شاب مجتهد .. بدليل أنك استطعت تكوين الثروة التى تتحدث عنها فى هذا الوقت القصير من عمرك .. لكن لا أريد أن أعطيك أملًا زائفًا .. لا أظن أن هذا الزواج سيتم بأى حال .. أعتذر لك .

ـ هل يمكن أن أعرف السبب يا عمى ؟

ـ الزواج قسمة ونصيب يا ولدى .

ـ أعرف .. ولكن .. هل موضوع الكلية هو السبب ؟ .. لو كنت طبيبًا لوافقتم .. أليس كذلك ؟

صمت الرجل ولم يرد إحراجى .. قلت له :

ـ د. (أشرف) .. أنت من أنبل الناس الذين قابلتهم وسأظل أحترمك طوال عمرى .. وأتمنى أن أتزوج ابنتك لأنى أحبها .. ولأنى أريدك أن تكون حماى .. فلن أجد حمًا أفضل منك .. ليتنى كنت طبيبًا !

ثم جاءتنى الفكرة المجنونة ..

لِمَ لا أكون طبيبًا ؟

ونظرت إلى الساعة .. وحركت زر الشهور كثيرًا ..

الزمن : قبل سنوات ..

وجدت نفسى جالسًا فى سيارة ركاب .. لا أعرف إلى أين تتجه ! .. نظرت من النافذة بجوارى .. هذا الطريق يؤدى إلى القرية التى كان بها منزلنا القديم .. يبدو أننى عائد لتوى من الجامعة .

عند موقف القرية نزلت من السيارة وبحثت عن نقود لأعطيها للسائق .. وتذكرت المليون دولار التى تركتها فى المستقبل وشعرت بالحسرة والندم !

وضعت يدى فى جيبى أخرجت حافظة نقودى .. كنت فى ذلك الوقت أضع المال فى حافظة نقود جلدية .. نظرت فى الكروت التى بها .. كارت (ميناتل)

وكارنيه الجامعة .. هناك بعض النقود .. حاولت تذكر سعر الأجرة فى ذلك الوقت ..

قال السائق مندهشًا وهو يعيد لى النقود :

ـ لقد دفعت من قبل يا أستاذ .

هذه هى مشكلة الانتقال بالزمن .. لا أعرف ما الذى فعلته أو سأفعله .. شكرت السائق .

وجدت رجلًا يدعونى لأركب خلفه على دراجته البخارية .. فى الواقع لم أكن أعلم من هو لكنى كنت متأكدًا أنه يعرفنى .. لذا قبلت دعوته وركبت .. لاأظن أنها محاولة اختطاف ! .. عائلتى ليست ثرية ليطلبوا منها فدية ولا أظن أنهم سيدفعون ! .. بالإضافة لأننا نعيش فى قرية ومن النادر حدوث حالات اختطاف فالكل يعرف بعضه هنا .

كنا فى ذلك الوقت نعيش فى قرية (كفر الشرفاء) قبل أن ننتقل إلى العاصمة .. سألنى الرجل أثناء الطريق :

ـ والدتك الأستاذة (بشرى) .. أليس كذلك ؟

ـ نعم .

ـ كانت بالمستشفى بالأمس ؟

سرت الارتجافة فى جسدى .. (أمى كانت فى المستشفى بالأمس) ! .. أنا أتذكر الآن هذه الليلة .. وأعرف ما سيحدث بعد ذلك .. لقد قلت له (نعم .. لم يخبرونا أن حالتها مستقرة .. وربما عادت للمنزل) ثم سيوصلنى إلى المسجد الكبير فى القرية .. حيث المقابر بجواره مباشرة .. وسأهبط من الدراجة

www.riwaya.ga

البخارية ويسألنى الرجل (ألن تصلى الجنازة ؟) .. فأشعر بالإرهاق وأريد العودة للمنزل لكن أساله بدافع الفضول (من مات ؟) فيتردد الرجل ويقول متلعثمًا (والدتك كانت بالمستشفى بالأمس و..) .. كان مخى وقتها لا يستوعب تلميحاته .. ثم اختفى الرجل وأنا أدير ما قاله فى رأسى .. الدنيا تزداد سوادًا وأنا أحاول تكذيب استنتاجى .. الأرض تصبح لينة تحت أقدامى .. أرى المصلين انتهوا من صلاة الجنازة ويحملون النعش الذى يحمل جسد والدتى إلى المقابر حيث ليلتها الأولى بعيدة عن عالمنا ! .. لن أراها مرة أخرى .. لن أتحدث معها .. لن أرى ابتسامتها الجميلة .. لن أسمع صوتها .. سأحرم من عطفها ودعواتها .. أتقدم بخطى هادئة خشية أن أسقط أرضًا أو أفقد الوعى .. أنظر حولى منتظرًا أى أحد ليسندنى .. فجأة يلمحنى أحدهم ويندفع نحوى وحوله آخرون وهم يعزوننى .. وأنا أهز رأسى فى عدم تصديق .. لا .. أنتم تكذبون .. لا يمكن أن تكون ماتت بهذه السهولة ! .. لقد أخبرونا أنها بحالة جيدة وأنها ستعود اليوم إلى المنزل .. توقفوا عن تقديم التعازى ودعونى أبكى .. وأبكى .. ماما ماتت .. ماما ماتت .. ماما ماتت !

يا إلهى ! .. هل عُدت بالزمن لأشهد جنازة أمى مرة أخرى ؟!

كرر الرجل سؤاله :

ـ كانت بالمستشفى بالأمس ؟

لم أرد هذه المرة .. وصلنا إلى المسجد الكبير وأوقف الرجل دراجته البخارية ثم سألنى :

ـ ألن تصلى الجنازة ؟

نفس الإحساس الذى شعرت به يومها اجتاحنى مجددًا .. الدنيا تزداد سوادًا .. أكثر إظلامًا .. أرى المصلين يحملون النعش .. هذه المرة اندفعت لأحمله معهم .. قبلت النعش .. تجاهلت كل التعازى .. ظللت أدعو لها والدموع تنهمر منى - يا إلهى ! لماذا أشهد جنازتها مرتين ؟!

ثم تذكرت الساعة ..

مسحت دموعى .. ورحت أدير زر الساعات .

★ ★ ★

الزمن : قبل 24 ساعة ..

وجدت نفسى داخل المستشفى .. ويخبرنا الطبيب أن :

- حالتها مستقرة .. اطمئنوا .. ربما تغادر غدًا .

صحت غاضبًا :

- لا .. حالتها ليست مستقرة .. ستموت غدًا .

تعجب الطبيب مما قلته بينما قال أبى بِلَوم :

- ما هذا الذى تقوله يا (سيد) ؟ .. لا تقل هذا عنها .

نظرت لوالدى وقلت بدموع :

- صدقنى يا أبى .. أنا أعرف ما أقول .. اطلب منهم أن يفعلوا ما بوسعهم لإنقاذها .. إن حالتها خطرة .. خطرة جدًا .. أرجوكم أنقذوها .

لم يقتنع الطبيب بما قلته .. فقلت :

- هل يمكن أن أراها ؟

ـ لا .. الزيارة ممنوعة الآن .. يمكنك زيارتها غدًا .

ـ أرجوك .

رفض مطلبى بشدة .. طلبت من والدى أن ننقلها إلى مستشفى آخر . مستشفى أفضل .. مستشفى خاص حتى لو طلبوا كل ما لدينا من مال .

ـ لا بد أن ننقذها يا أبى .

قال الطبيب :

ـ هذا أيضًا ممنوع .. يمكنك نقلها غدًا .. أما الآن .. مستحيل .

ـ لا يوجد مستحيل .

وأدرت زر الساعات .

★ ★ ★

(22)

الزمن : قبل يومين ..

ذهبت لزيارة خالتى (وردة) .. حيث كانت أمى تزورها عندما شعرت فجأة المرض ..

اندهشت خالتى عندما فتحت الباب ورأتنى :

- ابن حلال ! .. لقد كنا نحاول البحث عن هاتف لنتصل بكم .

أجبتها وأنا أندفع للداخل :

- أعلم .. أعلم .. أين هى ؟ .. كيف حالها الآن ؟

- بالداخل .. لكن كيف عرفت ؟!

- هل بصقت دمًا ؟

- نعم .. منذ قليل .

دخلت الغرفة وشعرت بمشاعر كثيرة تجتاحنى ..

يا إلهى !

أمى أمامى لا تزال حية تُرزق .. لكنها مريضة لا تشعر بوجودى .

لا أصدق أننى استطعت رؤيتها مرة أخرى !

قبلت يدها وقلت :

- اطمئنى .. سأنقذك هذه المرة يا أمى .

فتحت النافذة وأشرت للرجال بالأسفل قائلًا :

ـ اصعدوا .

سألتنى خالتى بدهشة وحيرة :

ـ من هؤلاء الذين طلبت منهم أن يصعدوا ؟

ـ رجال الإسعاف .. فسيارة الإسعاف تنتظر بالأسفل .. سنأخذها إلى المستشفى فورًا .

سألتنى بمنتهى الحيرة :

ـ كيف عرفت ؟!

كان لديها كل الحق .. فوالدتى عندما زارتها كانت تتحرك جيدًا وتضحك كعادتها ولم يبد عليها أى من علامات المرض .. وفجأة بدأت تبصق دمًا .. ثم انهارت تمامًا .. وحدث كل شىء بسرعة .. أخذتها خالتى إلى المستشفى بصحبة خالى (رامى) .. أما نحن عرفنا متأخرًا بسبب سوء الاتصالات فى ذلك الوقت وعدم توفر هواتف قريبة من منزلنا .. خاصة أننا كنا نسكن داخل قرية بينما تسكن خالتى فى المدينة !

حمل رجال الإسعاف والدتى على محفة .. وصل خالى فى نفس اللحظة .. واندهش من وجود سيارة الإسعاف .. أخبرناه بالأمر ..

ذهبنا جميعًا إلى مستشفى خاص بناء على إلحاحى ..

قام الأطباء والممرضات بعمل اللازم .. ومرت الحالة بسلام ..

واستطعت إنقاذ أمى فى تلك الليلة !

ومر اليوم المشئوم دون إعلان وفاتها .. لكن ظلت حالتها تستدعى العناية .

لكن ..

بعد أسبوع .. ماتت !

ما الذى يعنيه هذا ؟! .. قمت بتأجيل موتها أسبوع ! .. هذا كل ما استطعت فعله !

قال الطبيب :

- كانت حالتها سيئة للغاية والمرض قد تمكن منها .

- والعمل ؟ .. ما الذى كان يمكن أن أقدمه لها لأنقذها ؟

- يا ولدى .. إن الأعمار بيد الله .. ولم يكن باستطاعتك فعل شىء .. والدتك لم تهتم بصحتها والكشف على نفسها دوريًا والاهتمام بأخذ العلاج .. لقد جئتمونا بها وهى فى آخر مراحل المرض .. لو كانت جاءتنا قبل ذلك بزمن كنا استطعنا علاجها .

قلت مرددًا كلمته :

- لو ..

ثم أدرت زر الشهور فى الساعة ..

الزمن : قبل عام ..

وجدت نفسى جالسًا فى غرفتى فى منزلنا بالقرية .. سمعت صوت أختى .. تذكرت أنها لم تتزوج بعد فى تلك السنة .. ثم سمعت صوت أمى .. يا إلهى !

إنها هنا .

سأراها الآن .

تقدمت نحو غرفتها وقلبى يمتلئ بالسعادة .. لقد كنت أتمنى أن أراها ولو للحظة واحدة .. الآن أنا أعيش معها .. وسأراها كثيرًا .

المؤلف (محمد رضا عبد الله) يحسدنى على هذه اللحظة ويتمنى أن يمتلك هذه الساعة السحرية ليعود بالزمن ويرى والدته مرة أخرى ولو للحظة واحدة ..

ويطلب من القراء الأعزاء أن يدعوا لها بالرحمة .

ويسألهم :

س : لو أنك تملك هذه الساعة التى تستطيع إعادتك للزمن الماضى .. من الشخص العزيز الذى فارق الدنيا وتتمنى رؤيته ولو لثانية واحدة ؟

ج : .....

★ ★ ★

طرقت الباب قبل الدخول فضحكت أمى قائلة :

ـ تعالى يا (سيد) .. منذ متى وأنت تطرق بابى يا ابنى ؟! .. متى حلّ عليك كل هذا الأدب ؟!

اندفعت نحوها واحتضنتها بقوة وحنان وقبلتها وبكيت بدموع غزيرة ..

اندهشت قائلة :

ـ ما بك يا بنى ؟!

كان الموقف عصيبًا .. وما زال عقلى لا يستطيع استيعاب حدوثه .. قلت لها:

ـ أنا أحبك جدًا .

نظرت لى ضاحكة :

ـ ما كل هذا الحب ! .. كل هذا تفعله حتى أنسى ما فعلته اليوم ؟

المشكلة أنى لا أعرف ما الذى فعلته اليوم .. هل أعود بالزمن لأعرف ؟!

أمسكت أمى يدى بقوة وقالت مندهشة :

ـ ما هذا ؟ .. هل هذه ساعتك ؟!

ـ نعم يا أمى .

انتبهت أمى لوجود الساعة الجديدة فى يدى من اللحظة الأولى .. بينما لمحها أبى مرات كثيرة ولم ينتبه لكونها جديدة ! .. إنها الأم يا سادة !

ـ وأين الساعة التى اشتريتها لك بمناسبة نجاحك فى الثانوية ؟

المشكلة أنى نسيت أين وضعتها فى ذلك الزمن .. أجبت بسرعة :

ـ موجودة .

ـ لماذا لا ترتديها ؟ .. ألا تحب الساعة التى اشترتها لك أمك وتشترى ساعة أخرى ؟

ثم قالت مازحة :

ـ قلبى غضبان عليك ليوم الدين .

ـ لا يا أمى .. أرجوكِ .. أنا أحتاج إلى رضاك عنى .. لا تغضبى منى أبدًا .

ثم خلعت الساعة السحرية ووضعتها فى جيبى قائلًا :

ـ ها هى الساعة .. سأضعها فى جيبى .. وسأرتدى ساعتك .

قبلتنى فى رضا وقالت بحماس :

ـ هيا .. اذهب حالًا وأحضر الأشياء التى طلبتها منك .. لقد تأخرت .

خرجت من غرفتها وأنا لا أعرف ما هى هذه الأشياء التى طلبتها .. حركت زر الشهور لأخرج من هذا الموقف .

الزمن : قبل ثلاثة أعوام ..

وجدت نفسى ألهث .. يبدو أننى كنت أسير بخطى مسرعة .. تلفتُّ حولى .. اكتشفت أننى فى منتصف الطريق والمفروض أننى كنت أعبر بسرعة حتى لا تصدمنى السيارات ..

وحدث الارتطام ..

إظلام تام ..

ثم ..

www.riwaya.ga

فتحت عينى قليلًا .. وجدت نفسى نائمًا على سرير داخل مستشفى والطبيب كان يقول :

ـ ... ولهذا اضطررنا إلى بتر ساقه .

★ ★ ★

كان الحادث بشعًا .. تعرضت ساقى لإصابة فادحة استلزم بترها !

بكيت بدموع غزيرة .. لقد فقدت يدى يومًا ما .. والآن فقدت ساقى ..

لم يحدث هذا لى عندما كنت فى هذا اليوم .. لأنى بالتأكيد عبرت الطريق بسرعة ولم أتوقف من المفاجأة !

لماذا يحدث هذا لى ؟! .. هل عُدت بالزمن من أجل المعاناة والألم ؟!

أمى كانت تبكى بحرقة وهى تنظر إلى ساقى .. قلت لها :

ـ أرجوكِ .. لا تبكِ يا أمى .. كل شىء سيكون على ما يرام .. أين الساعة ؟

قال أبى :

ـ الساعة الآن الخامسة .

ـ لا أسأل عن الوقت .. بل أسأل عن ساعتى .. أين هى ؟

قالت أمى :

ـ ساعتك .. لا أعلم .. ربما تركتها فى المنزل أو ضاعت فى الحادث .

ـ لا يا أمى .. أنا أسأل عن الساعة الأخرى وليست الساعة التى أعطيتها لى .. أعنى ساعة أخرى وقت الحادث .. الساعة السحرية .. أين هى ؟

قال أبى بقلق :

ـ ساعة سحرية ! .. يبدو أن هذا من تأثير مخدر العملية .. أم أن الحادث أثر على عقلك ؟!

قالت أمى :

ـ لم نجد معك أى ساعة عندما وصلت للمستشفى .

ما الذى يعنيه هذا ؟! .. هل أصبحت محجوزًا فى هذا الزمن .. فاقدًا لإحدى ساقى .. وسأعيش حياتى كلها من جديد .. بهذه الإعاقة ؟!

وصرخت بكل ألم !

★ ★ ★

(23)

دخلت أختى الغرفة قائلة :

ـ هناك شخص يريد مقابلتك يا (سيد) .

صحت بغضب وضيق وحزن :

ـ لا أريد أن أقابل أحدًا .

دخل رجل الغرفة رغم ما قلته .. بمجرد أن رأته أمى اندفعت نحوه لتغرز أصابعها فى رقبته .. حاول أبى منعها والممرضات .. بينما قال الرجل وهو يبكى:

ـ والله العظيم أنا برىء .. هو الذى توقف فجأة وهو يعبر الطريق .. وظل ينظر حوله مندهشًا كأنه يتفقد المكان .. لم أتوقع أن يقف أمامى هكذا .. إنضغطت الفرامل .. لكن بعد فوات الأوان .

هذا الرجل رأيته من قبل .. حاولت التذكر .

قالت أمى :

ـ هل يعجبك منظره الآن ؟ .. سيعيش ابنى حياته بدون ساق .

تذكرت الآن أين رأيته من قبل .. إنه نفس الرجل الذى قتل الطفل عند السنترال فى المستقبل .. يبدو أن مصيره السجن سواء فى حادث الطفل أو فى هذا الحادث .

قال الرجل متوسلًا :

ـ أنا مستعد أن أدفع ما تطلبونه .. لكن لا داعى من السجن .. أرجوكم .

قالت أمى :

ـ أى تعويض فى الدنيا لن يعيد لابنى ساقه .

لمحت الساعة فى يد الرجل .. يا إلهى ! .. هل هذا معقول ؟! .. هل يمكن أن تكون هى ؟!

قلت للرجل :

ـ هذه الساعة !

خلعها الرجل بسرعة قائلًا :

ـ تفضل .. أظن أنها ساعتك .. لقد وجدتها فى مكان الحادث وكنت سأعيدها لك .. تفضل .

قالت أمى :

ـ هذه ليست ساعة ابنى .. ساعته أعرفها جيدًا .. لقد اشتريتها بنفسى .. هل تريد أن تدفع لنا تعويضًا ساعة ؟

أخذت الساعة منه .. إنها الساعة السحرية فعلًا .. أحمدك يا إلهى ! .. أشكرك كثيرًا !

قلت لأمى :

ـ إنها الساعة التى سألتكم عنها منذ قليل .

وشكرت الرجل قائلًا :

ـ لقد سامحتك .. طالما أنك أعدت لى الساعة .. اذهب .. لن أطالبك بأى تعويض .

كان الجميع ينظر لى بدهشة ويتعجبون من اهتمامى الشديد بهذه الساعة .. لا يعرفون قيمتها وفائدتها السحرية !

أتمنى فقط أنها ما تزال تعمل .. فلو أنها تعطلت بسبب الحادث لقتلت هذا الرجل بنفسى !

أدرت زر الشهور ..

الزمن : قبل ستة شهور ..

وجدت نفسى أجلس فى منزلنا أشاهد فيلمًا عربيًا على التليفزيون .. بجوارى عائلتى تضحك على المشهد المعروض على الشاشة .. نظرت إلى ساقى ..

موجودتان ..

الحمد لله .. الساعة تعمل .

انتظرت لأعرف ما الذى سيفعله البطل فى الفيلم عندما يكتشف أن مديره يخدعه .. ضحكت على المشهد .. ثم حركت زر الثوانى لأرى المشهد من بدايته ..

الزمن : قبل ثوانٍ ..

كان مشهدًا طريفًا بحق ! .. ثم حركت زر الشهور .

الزمن : قبل سنوات ..

وجدت نفسى طالبًا فى الثانوية العامة .. قسم أدبى .. جالسًا فى الفصل .. ياااه .. ذكريات كثيرة اجتاحتنى فى تلك اللحظة .. الحنين إلى الماضى .

أنا أعيش الماضى نفسه الآن .

كنت رفيعًا جدًا .. أحتفظ بداخل حقيبتى المدرسية بعشرات من (روايات مصرية للجيب) داخل الكتب .. لأقرأها فى الفسحة .. أو أستبدلها مع أصدقائى عاشقى الروايات .. أعطيهم روايات من سلسلة (ما وراء الطبيعة) ويعطوننى روايات من (رجل المستحيل) و (ملف المستقبل) .

كانت المدرسة الثانوية مشتركة .. بنين وبنات .

تلفتُّ حولى باحثًا عنها ..

وجدتها !

كانت هناك .. يا إلهى ! .. قلبى يخفق بعنف بمجرد رؤيتها .

إنها (وفاء) ..

الحب الأول ..

قبل أن أقابل (نهى) و(مى) و(نيفين) بسنوات .

إنها البراءة والرقة .. والأنوثة المتفجرة .. الابتسامة الرائعة .. الجمال الباهر !

لكنى أريد أن أكون فى قسم (علمى) لأصبح طبيبًا فى المستقبل وأتزوج من الدكتورة (نهى) .

يا للحيرة !

قمت بتحريك زر الشهور مرة أخرى لأعود للماضى .. وأختار قسم (علمى) بدلًا من (أدبى) .

الزمن : قبل شهور ..

وجدت نفسى داخل الفصل .. ومدرس اللغة الإنجليزية يقول :

- Past continuous tense .. زمن الماضى المستمر يتكون من was/were+V-ing

ثم سألنى :

- وفيم يستخدم ؟

- .....

- لقد قلناها منذ دقيقة يا (سيد).. هل نمت فى الحصة مرة أخرى يا(سيد)؟

وضحك أصدقائى من جملته الساخرة .

حسنًا .. ساعود بالزمن لدقيقة لأسمع ما قاله وأحفظه ..

www.riwaya.ga

الزمن : قبل دقيقة ..

قال المدرس :

ـ ويستخدم هذا الزمن للتعبير عن فعل أو حدث مستمر فى الزمن الماضى ..

وعندما مرت الدقيقة وسألنى .. أجبته بكل ثقة هذه المرة .. وصفق لى .

حسنًا .. لقد حفظت الدرس .

وكلما كانت هناك صعوبة فى فهم أى جزء من أى مادة .. كنت أعيد الزمن وأسمع الشرح مجددًا .. أظن أنى سأصبح متفوقًا بسهولة .. يمكننى أن أعيد سماع شرح أى دروس صعبة .

بالإضافة لأننى سأعيد كل امتحان بعد أن أعرف أسئلته .

أظن أنه يمكننى الآن أن أصبح الأول على الجمهورية فى الثانوية العامة بسهولة .. لا أحتاج لحفظ المناهج كلها .. بل سأدخل الامتحان وأعرف الأسئلة ثم أعيد الزمن لساعات للخلف .. أحفظ الإجابات جيدًا وأنتظر موعد الامتحان ثم أدخل لأكتب كل الإجابات النموذجية التى حفظتها .

★ ★ ★

وضعت الساعة فى جيبى .. دق جرس الفسحة .. خرج جميع الطلاب من الفصل وتأخرت (وفاء) فى الخروج .. كما حدث فى المرات السابقة !!!!!!

اتجهت إليها بهدوء شديد وقلت معتذرًا :

ـ أنا آسف يا (وفاء) على ما فعلته منذ دقائق !

كانت تضع كتبها فى حقيبتها عندما استدارت ناحيتى وابتسمت قائلة :

ـ تعتذر عن ماذا ؟

أجبت بغموض :

ـ لا شىء !

وخرجت من الفصل فى هذه المرة دون أن أفعل شيئًا !!

★ ★ ★

(24)

عشت عمرى كله أتساءل : ماذا يحدث لو ؟

أما الآن فأنا أعرف الإجابات .. وأتفادى النتائج أيضًا .

مثلًا .. جربت أن أخبر (نيفين) خطيبتى بحقيقة مشاعرى نحوها .. وعرفت الرد .. وتفاديت النتيجة .. حتى فسخت هى الخطوبة بنفسها .

كذلك جربت الاحتمالات مع (مى) ..

وجربت أيضًا احتمالات كثيرة مع (وفاء) .. وكنت أعود بالزمن فلا تعرف شيئًا .. وكأن شيئًا لم يكن !

★ ★ ★

فى حصة اللغة الإنجليزية .. سألنى المدرس :

ـ قاعدة (IF) الحالة الثالثة .. مم تتكون يا (سيد) ؟

لقد شردت بخيالى فى الحصة ولم أنتبه للشرح .. سأعود بالزمن لدقائق وأستمع للشرح مجددًا .. حتى أستطيع إجابة سؤاله .

الزمن : قبل شهور ..

لم أجد المدرس .. ولا أنا فى الفصل .. ما الذى حدث ؟! .. يبدو أنى حركت زر الشهور بدلًا من زر الثوانى ..

لقد وجدت نفسى واقفًا فى غرفتى بالمنزل وأمى تنظر إلى يدى وتقول :

ـ ما هذه الساعة التى فى يدك ؟!

حركت زر الثوانى مرة أخرى ..

وجدت خانة الشهور تتغير ولا تتوقف ..

ما الذى يحدث ؟! .. حاولت إيقاف الزر وتثبيته .. لكنه ظل يدور ويدور ويدور .. وخانة الشهور تتغير دون توقف .. سبتمبر .. أغسطس .. يوليو .. يونيو .. مايو .. إبريل ..

لا أستطيع إيقاف الزر .. يا إلهى !

الزمن : قبل سنوات كثيرة ..

استطعت إيقاف زر الشهور أخيرًا .. يبدو أن الزر قد تعطل بعد الحادث .. لم يعد يعمل بكفاءة كما كان من قبل .

نظرت إلى الأرض .. كانت قريبة جدًا منى .

يا إلهى ! إن ساقىَّ صغيرة ويدىَّ صغيرة .. لقد عدت إلى الماضى البعيد .. لقد أصبحت طفلًا .

★ ★ ★

(25)

لقد ظلت الساعة تستمر فى الرجوع إلى الماضى حتى صرت طفلًا .. والحمد لله أن الزر قد توقف أخيرًا .. لا أعلم ما الذى كان سيحدث بعد ذلك ! .. هل سأعود إلى رحم أمى ؟!

نظرت فى المرآة أمامى .. أظن أننى فى الصف الرابع الابتدائى .

يا إلهى ! .. هل سأعيش كل هذا العمر مجددًا ؟!

ثم تذكرت رحلتى الطويلة منذ اكتشافى سر الساعة العجيبة .. لقد عشت حياتى كلها فى ماضٍ مستمر !

أعود بالزمن دقائق .. ثم أيام .. ثم أسابيع .. ثم شهور .. ثم سنوات .. وكلما وصلت لمرحلة ماضية أذهب للمرحلة التى تسبقها لأعدّل من نفسى .. ومن حياتى .. ولأجرب كل الاحتمالات .

حسنًا .. لقد عُدت إلى الطفولة بسبب خطأ فنى ! .. لا بأس بالعودة لزمن الطفولة .. طالما أن الساعة معى وأستطيع تعديل أى شىء ..

سأكون أفضل تلميذ فى الفصل .. سأعرف جميع الإجابات ثم أعيد الزمن لأجيب عن كل الأسئلة .. نعم سأعيش حياتى فى تكرار دائم .. ماضٍ مستمر .. لكن فى تطور مع كل إعادة .

نظرت حولى .. كنا فى درس خصوصى .. عند الأستاذ (الميرغنى) .. المدرس

الذى كان يشرح لنا كل المواد فى الدرس .. تذكرت تلك الفترة التى لا أتذكر منها الكثير لأنى كنت طفلًا .

بجوارى أختى التى تصغرنى بعام .. نعم .. كان المدرس يشرح لأكثر من صف دراسى فى وقت واحد .

ثم تذكرت (ريهام) .. الحب الأول .. نعم .. كان هناك حب أول قبل الحب الأول (وفاء) ..

حب ابتدائى .. حب طفولى .. حب طاهر برىء لا يفهم معنى الحب أصلًا .. لكنه يشعر بانجذاب طفولى ناحية فتاة بعينها .. يحب أن يتكلم معها .. أن يراها طوال الوقت .. أن يسمع ضحكتها .

فى الابتدائية لم أستطع التعرف على (ريهام) بسبب خجلى الشديد أو لأنى أخشى أختى .. أختى كانت معنا فى الدرس وقد تُفشى ما يحدث فى الدرس لأبى وأتلقى علقة ساخنة ..

أما الآن فيمكننى أن أتحدث إلى (ريهام) بشجاعة .. وأقول ما أريد قوله .. وإذا علمت أختى بشىء سوف أعيد الزمن وأعالج الأمر .

كنت أتحرق شوقًا لمعرفة اسمها كاملًا .. ربما أتزوجها عندما أكبر وأنسى موضوع (وفاء) ود. (نهى) و(مى) و(نيفين) !

- ما اسمك يا (ريهام) ؟ .. أقصد .. ما هو اسمك كاملًا ؟

لا يمكن إخبارها أنى عشت عمرى كله أبحث عن اسمها كاملًا حتى أعرف

أخبارها .. لأنها بقيت معنا بعض الحصص فقط فى درس الأستاذ (الميرغنى) ثم انتقلت إلى بلدة أخرى ولم أرها بعد ذلك !

ابتسمت قائلة :

ـ (ريهام سعد البسطويسى زكى)

هذا الاسم يبدو مألوفًا .. هل هذا معقول .. سألتها :

ـ هل والدك يعمل مهندسًا فى شركة بترول ؟

ـ نعم .. هل تعرفه ؟

ـ هل لديك أخت اسمها (منيرة) ؟

ابتسمت ببراءة والسعادة تملأ شفتيها :

ـ أنا (منيرة) .

كانت المفاجأة هذه المرة لا تحتمل .. سألتها بقلق :

ـ وماذا عن اسم (ريهام) ؟

ـ اسم التدليل الذى ينادوننى به .

لا أصدق ما أسمعه وما أراه .. الملاك الرقيق هذا سيكون فى المستقبل (منيرة) السكرتيرة البدينة مدمنة الجزر .. التى تعمل فى شركة (سوبر جالاكسى) .. التى تتستر على ما يحدث بين المدير وسكرتيرته (صوفيا) وتمنع أى أحد من الدخول أثناء تشغيل المصباح الأحمر .

السكرتيرة غليظة الصوت والملامح ثقيلة الدم كئيبة المزاج التى أكرهها كالعمى .. والتى تلتهم ربع محصول مصر من الجزر ..

ليتنى ما سألت .. !

ليتنى ما عرفت .. !

حتى تظل (ريهام) فى ذهنى مثالًا للملاك البرىء الذى يطير بلا أجنحة !

لقد دمرت أحلامى ! .. لقد تعلمت الدرس :

• أحيانًا من الأفضل ألا نعرف الحقيقة ونحتفظ بخيالنا الجميل عن (ريهام).

قالت أختى :

- ما الذى تفعله يا (سيد) ؟ .. سأخبر بابا أنك تكلم البنات .

- بنات ! أى بنات ؟!

ثم حركت زر الدقائق ..

الزمن : قبل ساعات ..

وجدت نفسى أجلس فى غرفتى وأمى تمسك كراسة اللغة العربية وتسألنى بعصبية :

- لماذا حصلت على خمسة من عشرة فى الاختبار ؟

ثم نظرت إلى يدى وقالت :

- ما هذا ؟! من أين أحضرت هذه الساعة ؟ .. انطق .

www.riwaya.ga

أجبتها بسرعة وبصدق :

ـ لقد اشتريتها .

ملصت أذنى بقوة قائلة :

ـ يا كذاب .. كيف لطفل فى الابتدائية أن يشترى ساعة ثمينة كهذه ؟! .. إياك أن تكون قد سرقتها !

ثم تذكرت (مجاهد) صاحب محل (جراب الحاوى) عندما قال إن صاحب الساعة رجل ومعه ابنه الصغير .. طفل !

فكرت فى مسألة (الطفل) هذه .. ربما كان الطفل هو صاحب الساعة وليس الرجل .. ربما ليس ابنه أصلًا .

ربما كان هذا الطفل مثل الطفل (السيد) .. كان رجلًا كبيرًا يومًا ما فى المستقبل البعيد .. المستقبل الذى صنعوا فيه هذه الساعة الجبارة .. وظل يعود للزمن الماضى مثلما فعلت بالضبط حتى أصبح طفلًا مثلى فى الزمن الذى كنت فيه أنا رجلًا بالغًا .. ولهذا قرر التخلص من هذه الساعة الملعونة !

مثلى الآن عندما أفكر فى التخلص منها حتى لا أعود بالزمن أكثر .

ولأنه طفل ولا يستطيع بيع الساعة لأن البائع سيظن أنه قد سرقها .. استعان الطفل برجل كبير ليقول إن الساعة ساعته .. ويحصل على الثمن ويتقاسمانه .. ولم يرد إخبار البائع بفائدتها السحرية .. ولم يخبر الرجل الكبير أيضًا .

لو أننى فكرت الآن فى بيع الساعة .. سأحتاج إلى رجل كبير معى ليتظاهر أنه صاحب الساعة .. حتى لا يظن البائع أنى سرقتها ..

www.riwaya.ga

وربما يشتريها مغفل آخر مثلى .. ويظن أنها جميلة ممتعة تعيد الزمن وتصحح حياتك فيكتشف أنه أضاع عمره كله فى ماضٍ مستمر حتى يصل لمرحلة الطفولة منذ سنوات كثيرة مضت عندما كان طفلًا .

ولو توارثنا الساعة بهذه الطريقة من طفل إلى رجل ثم طفل إلى رجل .. وظل كل رجل يمتلكها يعود بالزمن حتى يصبح طفلًا ويعطيها لرجل .. قد يستلمها فى النهاية رجل فى عهد الفراعنة من طفل كان رجلًا .

وربما توارثنا هذه الساعة من المستقبل البعيد جدًا جدًا جدًا .. وظلت تنتقل من واحد إلى آخر حتى وصلتنى .

قالت أمى وقد ضايقها شرودى :

- أخبرنى الحقيقة يا (صاصا) .

نعم .. كانت تنادينى بهذا الاسم عندما كنت طفلًا .. الحمد لله أنها كفت عن هذه العادة .

- والله اشتريتها .

خلعت الساعة من يدى بعنف وقالت :

- قل الحقيقة .. لا تقل اشتريتها لأنك بالتأكيد لا تملك ثمنها .. فهل وجدتها أم سرقتها ؟ أخبرنى الحقيقة وإلا ألقيتها من النافذة .

- حسنًا .. الحقيقة أنى وجدتها .

www.riwaya.ga

كذبت .. لأنقذ الساعة .. فوجئت بأمى تقول :

ـ حسنًا .. أحبك عندما تقول الحقيقة .. وطالما أنك وجدتها فمن المفروض أن نسأل عن صاحبها .

اعترضت قائلًا :

ـ أنا صاحبها .. صدقينى .

ـ عُدت للكذب مجددًا .

ثم فتحت النافذة وقذفتها منها .

صرخت بكل قوة :

ـ ما الذى فعلته يا ماما ؟

صفعتنى قائلة :

ـ أتصيح فى وجه أمك ؟ .. هل هذا هو الأدب الذى تعلمته ؟

ليتنى أملك الساعة لأعيد الزمن وأعتذر لها !

اندفعت ناحية الباب وهبطت الدرج وجريت ناحية المكان الذى ألقت فيه والدتى الساعة .

لم أجدها ..

ظللت أبحث طوال الليل .. وجاءت والدتى ووالدى وأسرتى ومعهم المصابيح والكشافات ليبحثوا معى .. عندما وجدونى مصرًا على عدم الصعود إلى المنزل قبل العثور عليها .

www.riwaya.ga

فى النهاية أهلكنى التعب وغلبنى النوم ولم نعثر عليها .. وحملونى نائمًا إلى سريرى .

فى الصباح هبطت لأبحث عنها .. وجدت الناس تسير فى الطريق .. لا بد أن أحدهم قد عثر عليها وأخذها ويعانى الآن من العودة إلى الماضى ويفرح بمحاولات التصحيح والتعديل وتجربة الاحتمالات والنتائج .

يا إلهى ! .. سأعيش عمرى كله مجددًا ولكن هذه المرة بدون إعادة تصحيح أو تعديل أو محو الخسائر أو الإصابات .. شعرت برعب حقيقى ..

رعب هائل ..

فربما أعيش حياة جديدة أسوأ من الحياة التى عشتها من قبل .. وربما أتعرض لحوادث أسوأ ولن يكون هناك أى أمل .

ذهبت إلى المدرسة .. وفى حصة اللغة الإنجليزية .. سألنى المدرس وهو يلوح بالعصا :

- قل لى يا (سيد) .. مم يتكون زمن الماضى المستمر ؟

لقد نسيت الإجابة تمامًا !

★ ★ ★

هل سيعثر (السيد) على الساعة ؟ .. أم سيعيش حياته مرة أخرى من جديد دون أى محاولة لتصويب الخطأ أو أى فرصة للنجاة من أى حادث ؟ .. من الذى عثر على الساعة ؟ .. وهل سيبحث عن صاحبها ويعيدها له أم يستخدمها

ويبدأ هو الآخر رحلة جديدة تستمر إلى الماضى البعيد حيث طفولته ؟ .. كنت أتمنى أن أستطيع إجابتكم عن هذه الأسئلة .. لكن هناك قصص أخرى نود أن نحكيها فى الأعداد القادمة .. ماذا نحكى .. قصة (السحر الأسود) أم (لا تغلق الباب) أم (العالم السفلى) أم (نون القسوة) أم (رياضة القتل) أم (نهاية السلسلة) أم العدد الخاص (فوبيا) أم (هيئة المحلفين) أم (يوم مثير فى حياة موظف محدود الدخل) أم (حدث فى 14 نوفمبر) أم (زهايمر) أم (الأمانى المستحيلة) أم (سلم إلى السماء) أم الجزء الثانى من (لص الوجوه) أم (إنها حقًا عائلة غريبة جدًا) أم (الخطايا العشر) أم ... ؟ .. حسنًا .. فلننتظر ونَرَ ..

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

لتحميل المزيد من الروايات الحصرية
مكتبة رواية
www.riwaya.ga

www.riwaya.ga

روايات مصرية

الصرفة 7

في كل رواية صرفة جديدة !

محمد رضا عبد الله

زمن الماضي المستمر

يجب أن نعرف أولًا

أن زمن الماضى المستمر يتكون من was / were + V + ing

ويستخدم هذا الزمن للتعبير عن فعل أو حدث مستمر

فى الزمن الماضى ..

الشرح مع الأمثلة بالداخل .. بالإضافة لتمارين لاختبار

مستوى فهم التلميذ ..

وفى الرواية القادمة نشرح زمن المضارع التام ..

5/1/019

www.rewayatmasreya.com

facebook.com/rewayatmasreya

الخط الساخن

19350

العربية الحديثة

040007